[illegible]

المكتبة الأهلية . في بيروت



(صلى الله عليه وسلم)

تأليف

الشيخ مصطفى الغلاييني

« أستاذ التفسير والآداب العربية في الكلية الاسلامية في بيروت وعضو المجمع العلمي العربي في دمشق »

الطبعة الرابعة

١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

حق اعادة الطبع محفوظ للمؤلف

مطبعة المصباح — بيروت

المكتبة الأهلية . في بيروت



صلى الله عليه وسلم

تأليف

الشيخ مصطفى الغلاييني

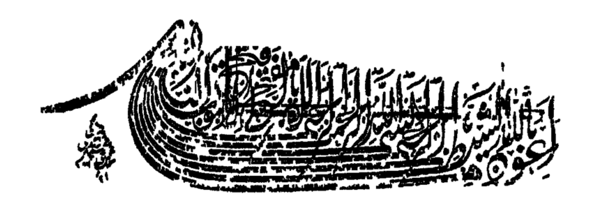
« استاذ التفسير والآداب العربية
في الكلية الاسلامية في بيروت وعضو
المجمع العلمي العربي في دمشق »

الطبعة الرابعة

١٣٤٨ هـ – ١٩٢٩ م

حق اعادة الطبع محفوظ للمؤلف

مطبعة المصباح – بيروت



حمدا لمن جعل أخبار الاولين موعظة للآخرين ، وسير الماضين عبرة للحاضرين والآتين ، وصلاة وسلاما على رسوله الامين ، قدوة المتقين، وامام المرسلين ، ارسله على حين فترة من الرسل ، فهدى به قوماً فسقوا عن الهدي الالهي ، وحادوا عن الوحي القلبي ؛ وعلى آله واصحابه ، ومن تأدب بآدابه

وبعد ، فلما كانت سيرة هذا الرسول الكريم ، الرؤوف الرحيم ، من أهم ما يجب على الامة تلقيه وينبغي درسه وحفظه ، ولا سيما تلك النابتة التي قضي عليها كما قضي على اكثر العوام ، ان لا تعرف شيئاً من اخبار نبيها، واحواله واعماله ، وشمائله وفضائله ، دعاني حب الخير لاولئك العوام والطلاب الكرام، ان اضع سيرة وسطاً بين السير ، اذكر فيها ما تهم معرفته كل مسلم ، متجنباً في ذلك التطويل والتقصير ، طاوياً كشحاً عما لم يصح ، او كان في روايته ضعف من عقل او نقل ، لتكون ذخيرة لطالبيها ، نافعة للراغب فيها . فجاءت بحمد الله وافية بالغرض على ما أظن . وكنت ابتدأت بتأليفها درساً فدرساً وكنت ألقي ذلك شفويا ثم كتابة على قسم من التلاميذ في الكلية الاسلامية في بيروت . وقد أودعت في اثناء الكلام بعض التعليقات الجديرة بالاعتبار ،

في فلسفة الحوادث المهمة ، وعلل بعض الاحوال ، وبيان بعض الامور المشكلة . ولما بلغت النهاية سميتها :

«خيار المقول في سيرة الرسول»
صلى الله عليه وسلم

ثم رأيت بعد ذلك ان اختصرها ، لما وجدت من الحاجة الى ذلك ، فاختصرتها في هذه الرسالة على وجه الايجاز ، ولم اذكر فيها سوى شذرات مهمة من احواله واعماله ، مع ذكر جميع غزواته ، وضربت صفحا عن سراياه الا ما كان له تعلق ببعض الغزوات فقد نبهت عليه في الحاشية بعلامات خاصة وأتبعتها بجملة ذكرت فيها أولاده وأزواجه وأعمامه وعماته وافراسه وغير ذلك ، وهيئته وبعض اخلاقه ومعيشته ، ثم بنموذج من معجزاته ، وشيء من جوامع كلمه وسميتها :

«لباب الخيار في سيرة المختار»
صلى الله عليه وسلم

فأسأل الله أن يجعلها مقبولة لديه ، انه خير مسؤول بل لا مسؤول سواه . وقد جعلتها هدية لعوام الامة وتلاميذ المدارس ، لتكون لهم عوناً على درس بعض شمائله وأخلاقه وأعماله العظيمة المهمة التي جاء بها صلى الله عليه وسلم .

بيروت　　　　　　مصطفى الغلاييني



اجمال عن العرب قبل الاسلام

بلادهم ومواقعها

جزيرةُ العربِ واقعةٌ في الجَنُوبِ الغربيِّ من آسيا . ويُحيطُ بها البحرُ الأحمرُ وصَحراءُ التِيهِ المُتَّصلةُ بِتُرعَةِ السُّوَيْس من غربها والخليجُ الفارسيُّ من شرقها وبحرُ عُمانَ الذي هُو قسمٌ من بحرِ الهندِ من جنوبها والصحارى الممتدةُ بينَ بلادِ الشام والفراتِ من شمالها .

ومساحتها ١١٠٠٠٠٠ ميلٍ مُرَبَّعٍ أوْ ٣١٥٦٥٥٨ كيلو متراً مربعاً أوْ ١٢٦٠٠٠ فرسخٍ مُرَبَّعٍ ، وقد عَمِلنا حسابها بالميل والكيلو مترِ والفرسخِ فجاء الحسابُ متقارباً .

ونُفوسُها اثنا عَشَرَ مِلْيوناً ، وقيلَ عَشَرَةُ ملايينَ .

وهيَ تُقْسَمُ إلى ثمانيةِ أقسامٍ :

القسم الاول — الحجازُ ، وهو الواقعُ في الجَنوبِ الشرقيِّ من أرضِ طُورِ سيناء على ساحلِ البحرِ الأحمرِ ، وسُمِّيَ حِجازاً

لأنهُ حاجزٌ بينَ تِهامَةَ ونجدٍ. وتِهامَةُ محصُورَةٌ بينَ الحجازِ واليَمنِ . ومكَّةُ المكرَّمةُ والمدينةُ المنوَّرَةُ من هـذا القسمِ . وَفي وَسطِ مكَّةَ مسجدُها الجامعُ المسَمَّى بالحرمِ ، وَالكَعبةُ في وَسَطِهِ ، وبجانبها الحجرُ الأسودُ . ومكَّةُ هيَ البلدُ الذي وُلِدَ فيهِ الرَّسولُ ونشأ ، وفيهِ أُكرِمَ بالنبوَّةِ ، وتُسمَّى أيضاً بَكَّةَ . وقيلَ إنَّ بَكَّةَ هُوَ بطنُ مكَّةَ ، سُمِّي بذلكَ لِازدِحامِ النَّاسِ فيهِ لأنَّهُ يقالُ : بكَّهُ إذا زحمهُ . وتسمى أمَّ القُرَى . وكانت تُسمَّى في القديمِ الناسَ والباسةَ والبَساسةَ .

وأمَّا المدينةُ المنوَّرَةُ فكانت تسمى يَثرِبَ . وهيَ دارُ هِجرَةِ الرَّسولِ وقُطبُ نُصرَتِهِ وفيها قبرُهُ الطَّاهرُ . ولِكلٍّ من مَكةَ والمدينةِ حَرَمٌ لهُ حدُودٌ مَذكورَةٌ في كُتُبِ الفقهِ . وأرضُ تِهامَةَ تُحسَبُ اليومَ منَ الحجازِ .

القسم الثاني — اليَمَنُ : وهوَ الواقعُ في جَنوبِ الحجازِ ، وفي شِمالِهِ بِلادُ عسير . وفيهِ عِدَّةُ مُدُنٍ مَشهورَةٍ بتجارَةِ البُنِّ ، وهي مُخا وحُدَيدَةُ وعَدَنُ . وفيهِ مدينتا سبأ (مأرب) وَصنعاء . وسُمِّيَتْ اليمنُ بهذا الأسمِ لوقوعها عن يمينِ الكَعبَةِ إذا استقبلت المَشرِقَ ، كما أنَّ بلادَ الشَّامِ عنْ شمالها .

القسم الثالث — حَضرَمَوتُ في شرقِ اليمنِ على ساحلِ

بحر الهند ، ومنهُ يَخرُجُ العُودُ ذو الرّائحةِ الذّكيّة المعروفُ بالقاقلّي .

القسم الرابع — إقليمُ مُهْرَةَ في شرقِ حضر موتَ .

القسم الخامس — إقليمُ عُمانَ المتصلُ بالخليجِ الفارسيّ من الشمالِ ، ومنَ الشَرقِ والجنوبِ ببَحر الهندِ ، ويوجدُ فيه قليلٌ منَ النحاسِ .

القسم السادس — الَحسا : ويُجاورهُ جزائرُ البَحرَين بالخليجِ الفارسيّ ، ويمتدُّ على ساحلهِ إلى نهرِ الفراتِ . وسكانُ هذا القسم يستخرجون اللؤلؤ .

القسم السابع — نجدٌ : وأراضيهِ مرتفعةٌ ، وهوَ في وَسْطِ الجزيرَةِ بينَ الحِجازِ والَحسا وصحارى الشّامِ وإقليم اليمامَةِ ، وَهُوَ يَتَّصِلُ بالشّامِ شمالاً والعراقِ شرقاً والحجازِ غرباً واليَمامةِ جنوباً ، وأرضُهُ أطيبُ أرضٍ في بلادِ العرَب .

وَفي نجدٍ أرضُ العاليةِ التي كانَ يَحميها كُلَيبُ بنُ وائلِ بنِ ربيعةَ ، حتى أفضى ذلك إلى قتلهِ ونُشوبِ حربِ البسُوسِ التي دامَتْ أربَعينَ سنةً ، وقد ضُربَ بها المثل : « أشأمُ من حَربِ البَسوسِ »

وَفيهاَ جَبَلُ عُكاظٍ الذي لم تَثبُتِ العرَبيَّةُ الفُصحَى بعْدَ فَسادِهاَ إلاَّ فِي أهلِهِ .

وَفِي نجدٍ كَثيرٌ منَ الواحاتِ والخُيُولِ الجَميلَةِ (المَعْرُوفةِ بالكحَيْلِ) وهي مَرغُوبٌ فيها فِي بِلَادِ الدُّنياَ كافَّةً .

وَفي جَنُوبِ نجْدٍ أرْضُ اليَمَامَةِ .

القسم الثامن — إقْليمُ الأَحقَافِ ، وَهُوَ فِي أرْضٍ مُنْخَفِضَةٍ فِي جَنوبِ بِلادِ العَرَبِ وَفِي الجَنُوبِ الغَرْبِيِّ من عُمانَ . ويُلحَقُ به أرْضُ اليمَامَةِ ، وكانَ هذاَ الإقليمُ مَعْموراً بِأقْوامٍ منَ الجَبابِرةِ يُقالُ لهُمْ عادٌ ، وقدْ أهلَكهُمُ اللهُ بِرِيحٍ عَظِيمَةٍ وأهالَ عَلَيهِمُ الرِمَالَ .

وكانت جزيرةُ العربِ قديماً تُقسَمُ إلى ستةِ أقسامٍ : الحجازِ واليمنِ ونَجْد وتِهامةَ والإحساء واليمامةِ .

فاليمامةُ بينَ نجْدٍ واليمنِ وهيَ في جَنوبِ نجدٍ بينَ الإحسَاء شرقاً والحجازِ غَرْباً . وَمِنْ مَدآئِنهَا اليماَمةُ وَهَجَرٌ ؛ وَتُسَمَّى العَرُوض أيضاً ، لِأَنَّها معترضَةٌ بين نَجْدٍ واليمن .

وتهاَمةُ تُحسَبُ اليَوْمَ من أرْض الحَجازِ كما قدَّمنا ، وهي واقعةٌ بينَ اليمنِ جَنوباً والحجاز شمالاً .

والإحساء تمتدُّ عَلَى ساحلِ الخَليج من عُمَانَ إلى أرْضِ

بُصْرَى وتُسَمَّى بالْبَحْرَيْنِ . وَمِنْ مدائِنِهاَ الإحساءُ وَالْقَطِيفُ .

والحِجَازُ قدْ دَخلَ فيهِ تِهامةُ . واليمن انْفصَلَ عنهُ أقَالِيم حَضْرَمَوْتَ وَمُهْرَةَ وَعُمَانَ . ونجدٌ دخل فيه اليمامةُ والإحساء .

أنسابهم وطبقاتهم

طَبَقَاتُ الْعَرَبِ ثَلاثَةٌ وهيَ :

العاربة الاولى — أوِ الْعَرْباءُ ، وتُسَمَّى الْبَائِدَةَ ، وهمُ الْعَرَبُ الخُلَّصُ الأَوَّلون ، وقدْ ذَهبَتْ عَنَّا تفصيلاتُ أخبارِهم لتقادُمِ العهدِ . وقدْ كانُوا شُعوباً وَقبائِلَ كَثيرةً . وهمْ مِنْ وَلَدِ إِرَمَ ابن سامِ بْنِ نوحٍ . وَهُمْ تِسعُ قبائِلَ : عادٌ وَثَمُودُ وأمِيمُ وعُبَيْلُ وَطَسْمٌ وَجَدِيسُ وعِمْلِيقُ وَجُرْهُمُ الأُولَى وَوَبارُ . وَمِنْهُم تعلّم اسماعيلُ جَدُّ الرّسولِ الْعَرَبِيَّةَ . وَهُمْ أَقْدَمُ الأُمَمِ بَعْدَ قَوْمِ نوحٍ ، وأعظَمُهُمْ قُدرَةً ، وأشدُّهم قوةً وآثاراً في الأَرْض . وقد انتقلوا إلى جزيرةِ الْعَرَب من بابلَ لمَّا زاحمهمْ فيها بنو حامٍ . ثمّ كانَ لِكلِّ فِرقةٍ مِنهم ملوكٌ وآطامٌ [1] وقصورٌ . إلى أنْ غلَبَ عليْهمْ بَنُو يَعْرُبَ بْنِ قَحْطَانَ . وكانَتْ مَسَاكِنُهم في اليَمامةِ مِن جزيرةِ العَرَبِ .

---

(١) الآطام : الحصون . والمفرد اطم بضمتين

الطبقة الثانية — العَربُ العَاربة . الثَّانِيةُ وَبعضُهمْ يسْمّيها بالمتعربةِ ، وَهُم مِنْ وَلَدِ جُرهُم بْنِ قَحطَانَ بْنِ عابَرٍ ، وعابَرُ اسمُ هُودٍ عليهِ السَّلامُ . وكانَتْ مَساكنُهم بِالحِجازِ . ويُسَمّونَ أيضاً بالعربِ اليمانيَةِ ، لِأنَّ مَواطنهمْ كانَتْ في اليمنِ . ومنَ العَربِ المتعرِّبةِ أوِ العاربةِ الثَّانيةِ بَنُو سبأ ، وأسمُ سبأ عبْدُ شمسٍ ، فلما أكثروا الغزوَ والسبيَ سُمّوا سبأ ، وهوَ ابْنُ يشجُبَ بْنِ يَعربَ بْنِ قَحطَانَ . وَكانَ لسبَأ عِدّةُ أوْلادٍ ، منهم حِميَرُ وَكَهْلانُ — وَجميعُ قَبائلِ عَرَبِ اليمنِ وملوكها التَّبابِعَةُ منِ ولدِ سَبأ المذكورِ ماعدا عِمْرانَ وأخاهُ فانهمَا أبنَا عامِرِ بنِ حارثة ابنِ امرىء القيس . وكان هؤلاء العرَبُ يَغلِبُ علَيهم المَيْلُ الى الحضَارَةِ فسكنوا المُدُنَ وأسّسُوا الممالكَ ، ومنهمْ ملوكُ الحيرةِ وملوكُ الشَّامِ أي الغسَّانِيُّونَ .

وكان اهلُ هذهِ الطَّبقةِ أي العربُ المتعرّبةُ معاصرينَ أخيراً لإخوانهم من عربِ تلكَ الطَّبقةِ أي العَاربةِ الأولَى ، وكانُوا مُوالِينَ لهم وَمَناصرِيهم . ولمْ يَزالُوا مجتمعينَ في رِحابِ البَادِيةِ ، بعيدِينَ عن الملكِ الذي كان لإخوانِهمْ العَاربةِ الأولَى ، إلى أنْ تشعَّبتْ في الأرْضِ فَصائلُهمْ ، وتعدَّدتْ أفخاذُهمْ وعشائِرُهم ، ونما عَدَدُهم ، فزاحمُوا مُعاصرِيهم أبناءَ الطَّبقَةِ الأولَى ، وانتهزُوا

فرصةُ اضمحلالِ دولتهم وانتزعوها منهم على ما يُقال ، في القرن الثّامنِ قبلَ ميلادِ المسيح عليه السلامُ . فاستجدُّوا بالي الدولة بما استأنفوه من عزمِهم .

وكانَ قحطانُ بْنُ عابَرَ أوّلَ من نزلَ اليمنَ وغلبَ عليها حتّى ملكها ولبسَ التاجَ . وملكَ بعدَهُ ابنُهُ يَعْرِبُ ، وهُوَ أوّلُ منْ نَطقَ بالعَربيّةِ ، وقيل بلْ أبوه قحطانُ أوّلُ منْ نطقَ بها من العرب المتعرّبةِ أيِ العاربةِ الثانيةِ . وليس المرادُ أنّهُ أوّلُ من نطقَ بها على الإطلاق ، لأنّهُ قد كان لِلعربِ جيل آخرُ وهُمُ العاربةُ الأولى ، ومِنْهمْ تعلّمَ قحطانُ وابنُهُ يَعْرِبُ العَربيةَ .

وقد غلَبَ يَعربُ على قومِ عادٍ في اليمنِ وعلى العمالقةِ في الحِجَازِ . وولّى اخوتَهُ جميعَ أعمالهمْ فولّى جُرْهماً على الحجاز . وولّى عادَ بْنَ قحطانَ على الشِّحْرِ . وولّى عُمانَ بنَ قحطانَ على بلادِ عُمانَ .

وكانَ منْ نَسْلِ يَعْرِبَ بنِ قحطانَ التَّبابِعَةُ مُلوكُ اليَمَنِ المشْهورُونَ بالحضارَةِ والتَّمدُّنِ . وفي عَصْرِهم حصَلَ سَيْلُ العَرِمِ . فأغرَقَ اليمَنَ وفرّقَ السُّكّانَ وجعلَهُمْ طوائفَ . وكانَتْ هذهِ الحادِثَةُ على ما يُقالُ سنة (١٢٠) قبلَ المسيحِ عليهِ السَّلامُ .

[stamp]

وكانَ من هذهِ الأوائفِ آلُ غسَّانَ ملوكُ الشَّامِ من قِبَلِ الرُّومانِ، ويسمَّونَ الغساسنةَ. ومنها آلُ المنذرِ ملوكُ الحيرةِ من قِبَلِ الفرسِ ويسمَّونَ المناذرةَ.

الطبقة الثالثة — العَرَبُ المُستَعرِبَة؛ أي التَّابعةُ للعرَب. ومنهمُ الرَّسولُ صلى الله عليهِ وسلم ويُقالُ لهمْ العدنانيُّونَ نِسبةً إلى عَدنانَ، وهوَ أوَّلُ شَعبٍ اشتهرَ من وَلَدِ اسماعيلَ. وسُمُّوا بالمستَعرِبةِ لأنَّ أباهم اسماعيلَ بنَ الخليلِ عليهما السَّلامُ لم يكنْ عربيّاً بلْ جاءَ بهِ أبوهُ إبراهيمُ الخليلُ معَ أمِّهِ هاجرَ إلى مكَّةَ. فتزوَّجَ اسماعيلُ بنتِ مُضاضٍ سيِّدِ قبيلةِ جُرهُم. وتكلَّمَ بالعربيَّةِ الَّتي لم تكُنْ لغةَ أبيهِ.

وقدْ تناسلَ منهُ جيلٌ عظيمٌ كانوا شُعوباً وقبائلَ متفرِّقةً، بعضُها بَدوٌ اعتادَ المعيشةَ في البادِيَةِ تحتَ الخِيامِ. ويُقالُ لهمُ الأعرابُ (ويُسمَّى كلُّ مَنْ سكنَ البادِيةَ من العرب أعراباً. ومُفردُ الأعرابِ أعرابيٌّ) ويعيشُونَ من ألبانِ الإبلِ والغنمِ ولحومِها. ويتنقَّلونَ من مكانٍ إلى مكانٍ في طلَبِ العشبِ والماءِ. وبعضُها حضرٌ يسكنُ المُدُنَ كمكَّةَ والمدينةِ وجُدَّةَ وغيرِها. ويُقالُ لهمُ العرَبُ. ولمْ يخضعُوا قطُّ لِسلطةٍ خارجةٍ عنهم.

ومنْ وَلَدِ عدنانَ مَعَدٌّ . ومنْ معدّ نِزَارٌ . واشتهرَ من أَوْلادِ نِزَارٍ أربعةُ شعوبٍ ، وهي إيادُ وأنمارٌ وربيعةُ ومُضرُ .

وبنو مضرَ كانوا أهلَ الكثرةِ والغلبةِ في الحجاز . وقد انفردُوا برئاسةِ الحرمِ . واشتهرَ من قبائلهم كِنانةُ ثمَّ قريش التي منها النبيُّ صلى الله عليهِ وسلم .

وقُرَيْشٌ كانت أشهرَ قبائلِهم . وقد بلغَتْ في القرنِ السادسِ منَ الميلادِ المسيحيِّ مبلغاً عظيماً منَ الشَّرفِ وعلوِّ الهمَّةِ . وقدْ آلتْ إليها رئاسةُ البيتِ الحرامِ . وكانَ لها نوعٌ من السَّلطنةِ والمشورةِ على جميعِ قبائلِ العربِ .

وكانَ التقدُّمُ في قريشٍ لبني لؤيٍّ . وكانَ سيِّدُهم قُصيًّا ، لِما كانَ لهُ فيهم منَ الشرفِ والقرابةِ والثروةِ والاولادِ . وقد تولَّى رئاسةَ الكعبةِ سنة (٤٤٠) بعدَ المسيحِ . وكانَ منهُ بنو عبدِ منافٍ . وكانَ القائمُ بأمرِهم هاشماً ، ثمَّ ابنهُ المطَّلبَ ، ثمَّ أخاهُ عبدَ المطَّلبَ جدَّ النبيِّ عليهِ الصَّلاة والسلامُ .

***

وهُناكَ طَبَقةٌ خامسةٌ نشأتْ بعدَ حضارةِ الإسلامِ إلى يومنا هذا . وهُمْ الذينَ فسدَتْ لغتُهمْ على تمادي الأيامِ بسببِ مخالطتِهمْ غيرَ العربِ . وقدْ مرَّ عليهمْ أدوارٌ انقرضَ فيها

ما كانَ لهمْ منَ الدَّولةِ والسَّطوةِ في الجاهليَّـةِ والإسلامِ. وهُمْ قبائلُ عظيمةٌ، وشعوبٌ كثيرةٌ. يَسكنونَ الخيامَ، ويجولونَ في البراري. وأشهرُهمْ قبائلُ عنزةَ وصخرٍ وبساعة وغيرِها.

وقدْ دَخلَ كثيرٌ منْ عربِ الجزيرةِ المُدنَ، وسكنوا حواضرَ البلادِ بعدَ الإسلامِ، واختلطوا بأهلِ البلادِ الشاميَّةِ والمصريَّةِ والمغربيَّةِ. حتى صارَ يُعدُّ كلُّ مَنْ تكلَّمَ العربيَّةَ من أهلِ هذهِ البلادِ عربياً.

ممالك العرب قبل الاسلام

كانتْ ممالكُ العربِ قبلَ الإسلامِ منقسمةً إلى دولٍ كبيرةٍ وممالكَ صغيرةٍ. فالدولُ الكبيرةُ ثلاثٌ:

اولها اليمن — وكانَ مقرُّ ملوكِها (صنعاء) وأوّلُ مَنْ مَلكَ منهمْ قحطانُ بنُ عابرَ. وعابرُ هوَ هودٌ عليهِ السّلامُ على بعضِ الأقوالِ. وخلفَهُ على مُلكِ اليمنِ (٢٨) ملكاً. ثمّ انتقلَ المُلكُ منهمْ إلى الدَّولةِ الثانيةِ. وأوّلُ مَنْ مَلكَ منها (تُبَّعُ الأوّلُ) ابنُ الأقرنِ. وخلفَهُ عِشرونَ ملكاً آخرُهمْ (ذُو جَدَنٍ

الحِميَري) الذي تَغلَبَ علَيهِ (أرياط) قائدُ جَيشِ النجاشيِّ مَلِكِ الحَبَشة سنة (٥٢٩ م) واستولَى على مملَكتِهِ وضَمَّها إلى مملكـةِ الحبشة . وكانَ أرياطُ المَذكُورُ يَزدري الضُّعفاءَ . يُـكلّفُهمْ مالا يُطيقونَ منَ المشاقِّ . فَجزَعُوا لِذلكَ، وانتمَوا إلى (أبرَهةَ) أحدِ رُؤَساءِ الجيشِ . فأخَذَ بنَاصِرِهِم وحارَبَ (ارياطَ) وقتَلهُ وقامَ بالأمرِ بَعدهُ . وبعدَ موته مَلكَ ابنُهُ (يَكسُومُ) ثمَّ أخوهُ (مَسرُوقٌ) فاستَخلصها منهُ (سَيفُ ابنُ ذِي يَزَنَ) بمُساعدَةِ كِسرَى أنو شروانَ . وبعْـدَ موتِهِ تَغلّبَ عليها كِسرى . وبقيَتْ تحتَ سلطتِهم إلى سنة (٦٣٤ م) حتى فُتِحتْ بالإسلام . وكانَ العاملَ عليها حِينئذٍ (باذانُ) الذي أسلمَ في عهدِ النبيِّ عليهِ الصلاة والسَّلام .

الثانية المناذرة — ملوكُ العِراقِ وكانَ مَقرُّ مُلكِهِمْ (الحِيرَةَ) وهيَ قريبةٌ منَ الكوفة . وكانوا عُمّالاً لِلأكاسِرَةِ على عربِ العراقِ . وأوّلُ مَنْ مَلكَ على العرَبِ بأرضِ الحيرَةِ (مالِكُ بنُ فهم) ويَنتهي نسبُه إلى قحطان (وكان مُلكُهُ في أيّام مُلوكِ الطّوائِفِ قبلَ الأكاسِرَةِ) . ثمَّ مَلكَ بعدَهُ أخوهُ (عمرُو بنُ فهمٍ)، ثمَّ ابنُ أخيهِ (جَذيمةُ بنُ مالكِ بنِ فهمٍ)، ثمَّ غيرُهُ إلى تمام (٢٦) ملكاً . ثمَّ انتزَعَها خالدُ بنُ الوَليدِ عقِبَ الفتحِ الإسلاميِّ من

آخِرِ مُلوكِها (المُنذِرِ) بنِ النُّعمانِ .

الثالثة الغسانية — مُلوكُ الشّامِ وعدَدُهمْ (٣٢) ملكاً . وكانوا عُمّالاً لِقَياصِرَةِ الرُّومِ على عَرَبِ الشّامِ . وأوّلُ مُلوكِهِمْ (جَفْنَةُ بنُ عَمْرِو بنِ ثَعْلَبَةَ) وآخِرُهُمْ (جَبَلَةُ بنُ الأَيهَمِ) وقد أَسلَمَ في خِلافَةِ أميرِ المُؤمِنينَ عمرَ بنِ الخَطّابِ رَضِيَ اللهُ عنهُ سنة (١٦ هـ) . وفي هذهِ السَّنَةِ خرَجَ (عُمَرُ) إلى الحجِّ فحجَّ جبلة مَعـهُ . فبينما جَبَلَةُ طائفٌ إذ وَطِئَ رَجلٌ من فَزارَةَ إزارَهُ ، فلَطَمهُ جَبَلَةُ فهَشَمَ أنفَهُ . فأقبلَ الفزارِيُّ إلى عُمَرَ وشكاهُ . فأحضَرَهُ عمرُ وقالَ : افتَدِ نفسَكَ وإلاّ أمرتُهُ أنْ يَلطِمَكَ . فقال جَبَلةُ : كيفَ ذلكَ وأنا مَلِكٌ وهوَ سُوقَةٌ ؟ فقالَ عُمَرُ إنَّ الإسلامَ جمعَكُما وسوّى بينَ المَلِكِ والسُّوقَةِ في الحدِّ . فقال جَبلَةُ أتنصّرُ ، قال عمرُ : إنْ تنصّرتَ ضربتُ عُنُقَكَ فقال : أنظِرني ليلَتي هذهِ . فأنظَرَهُ . فلمّا جاءَ الليلُ سارَ جبلةُ بخَيْلِهِ ورَجْلِهِ إلى الشّامِ . ثمَّ سارَ إلى قُسطَنطينِيَّةَ . وتبِعَهُ خمسُ مئةِ رَجُلٍ من قَومِهِ فتنَصَّروا عن آخِرِهِمْ . وفَرِحَ (هِرَقْلُ) بهم وأكرَمَهُ . ثمَّ ندِمَ جبَلةُ على فِعلِهِ ذلكَ وقال :

تَنصَّرَتِ الأشرافُ منْ عارِ لطمَةٍ

وما كانَ فيها لوْ صبرْتُ لها ضَرَرْ

تُكَتِّفني فيهــا لَجَاجٌ ونَخْوَةٌ
وبِعتُ لها الْعينَ الصَّحيحَةَ بِالْعَوَرْ
فَيَالَيتَ أُمي لَمْ تلدْني ولَيتَني
رَجَعتُ إلى الْقَوْلِ الذي قالهُ عُمَرْ

وَهذهِ هيَ الدُّوَلُ الثَّلاثُ الْكبْرَى في بِلَادِ الْعرَبِ. وأَمَّا الَمَالِكُ الصَّغيرةُ فكَثِيرَةٌ مِثلُ كِنْدَةَ وغيرِها. وكذا الْملوكُ الْمتَفَرِّقونَ مِثلُ كُلَيبٍ ملكِ بَنِي وَائلٍ وتَغلِبَ، الذي قَتَلهُ جسَّاسُ بنُ مُرَّةَ. ومِثلُ قَيسِ بنِ زُهَيرٍ الْعَبْسِيِّ.

اخلاقهم وعاداتهم

منْ أَخلاقِهِم الحسنَةِ وعادَاتِهِمْ الطَّيِّبةِ الشَّجَاعَــةُ والْعِفَّةُ والشَّهَامةُ والنَّجْدَةُ وعُلوُّ الْهِمَّةِ والحَمِيَّةُ وحِفْظُ الْعُهُودِ والإِيفَاءُ بالوُعُودِ والمُحَافَظةُ على الأَعراضِ أَشدَّ المحافظَةِ. فقدْ كانَ عِندَهم الموْتُ أَسهلَ منَ الْعَارِ (حَتَّى أَدَّى بِهِمْ ذلِكَ إلى دَفْنِ بعضِهِم بَنَاتِهِم وهنَّ أَحياءٌ خَشْيةَ الْعارِ) ومنْهَا الْمدَافعةُ عنِ الجارِ، وحِفظُ الجِوارِ، والْكرَمُ، والضِّيافةُ للْغريبِ والْقريبِ. ومِنهاَ الْبَأسُ، وعِزَّةُ النَّفسِ، وإِباءُ الضَّيمِ، والوُلوعُ بالأَشعارِ لِأَنَّها دِيوانُ الْعرَبِ، وبِالحِكمِ والأَمثالِ. ومِنْها الْحِلمُ والْفَصاحَةُ

والتفاني في حفظ الشرف وصيانة النفس.

وأما أنسابهم فكانت من أعز الأشياء لديهم. حتى أنهم كانوا يأنفون من مخالطة غير العرب حفظاً لها من الهجنة.

ومن عاداتهم السيئة دفن البنات وهن أحياء خشية العار، وقتل الأولاد خشية الفقر، والتفاني في أخذ الثأر. حتى أنهم كانوا يشنون الحروب التي تزهق فيها النفوس الكثيرة في سبيل الأخذ بثأر رجل منهم. ومنها المنابزة بالألقاب، (والنبز هو اللقب المشتمل على القبيح). ومنها التبني، (وهو أن يجعل الولد غير الحقيقي بمنزلة الابن الحقيقي يرث ويورث). ومنها عبادة غير الله. وكانت عبادتهم على أنواع مختلفة، ولهم آلهة وأصنام كثيرة: كاللات، والعزى، وهبل، ومناة، ونسر، وسواع، ويغوث، ويعوق، وغير ذلك. وكان منهم من يعبد الكواكب: كالشمس والقمر والزهرة والمشتري، وغير ذلك، ومن ذلك أسماؤهم كعبد العزى وعبد يغوث وعبد شمس وعبد مناة. وكان في بلادهم كثير من النصارى واليهود والمجوس.

وكانوا قبلاً موحدين يعبدون الله على ملة إبراهيم الخليل وإسماعيل عليهما السلام. ثم اتخذوا الأصنام لتكون واسطة

بينهم وبينَ اللهِ بزعمهم ، إلى أن عبدوها وقدّموا لها القرابينَ ، وذبحوا على اسمها الذبائحَ .

فلمّا وصلوا إلى هذهِ الدرجةِ منَ الجهلِ والكفرِ وعبادةِ غيرِ اللهِ أرسلَ اللهُ اليهم رسولَهُ المصطفى ونبيَّهُ المرتضى ، فأرجعهم الى الشَّريعةِ الحقِّ : شريعةِ إبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء من قبلهم ، فهداهم بعدَ الضَّلالِ ، وأرشدهم بعدَ الحيرة .

تمهيد

إعلَمْ أنَّ اللهَ خَلَقَ الخلقَ ، وَلَمْ يَتْرُكهم سُدًى ، يَميلونَ مع أهوَائهم كَيفَ شاءَتْ ؛ بَلْ رَبَطهمْ بِنِظَامِ الحِكمةِ وَرَابِطَةِ النُّبوَّةِ ، فكَانَ يُرْسِلُ إلى كلِّ قومٍ رَسُولاً يُرْشِدُهمْ ، وَهادِياً يَعِظهمْ . وكانَتِ الأُمَّةُ العربيَّةُ مُقتَفيَةً شَريعةَ إبْرَاهيمَ عليهِ السَّلامُ . ولكِنْ لمَا طَالَ العهدُ بِهَا غيرُوهَا وَبدَّلوهَا ، وأختَرَعُوا أشياءَ أَضافُوهَا إليهَا ، كمازَيَّنَتْهُ لَهمْ عُقولُهمُ السَّقيمةُ . فصَارُوا أُمَّةً وَثَنِيَّةً ، بعْدَ أنْ كانَتْ مُوَحِّدَةً ، وكَثُرَ فيهِمُ الفُجُورُ والفِسَقُ والقَتلُ والخُرُوجُ عنْ دائرةِ المَدَنيَّةِ والدِّينِ ، فلمَّا أستحكَمَ الجَهلُ فيهم ، وضرَبَ أطنَابه في قلوبِهم ، كانَ من رَحْمةِ اللهِ بِهم أنْ أرسلَ اليهم رسولاً من أنفسِهمْ ؛ وهو محمدُ بنُ عبدِ الله النَّبيُّ الأُمِّيُّ ، لِيُرْشِدَهم إلى الصراط المستقيم ، والسبيل الواضحة . وأنزلَ عليه القرآنَ الحكيمَ ، وأيَّدَهُ بقوتِهِ وسلطانه . فهدي النَّاسَ بعدَ ما ضلُّوا ، وَعلَّمهم بعد ما جَهِلُوا . فَحَسُنَتْ أحوالُهم ، وأستقامتْ أفكارُهمْ . وقد قاسى من اجلِ ذلك الشدائدَ ، وتَحَمَّلَ من المشقَّاتِ والمتاعبِ في سبيل الدَّعوةِ

والنصيحة والهداية مالا تعتمد عليه الجبال الراسيات، والأعلام الشامخات، ولكن بالنظر لما عُرف فيه (عليه السلام) من القوة والنشاط، والثبات أمام العقبات، والمثابرة على الأعمال التي يكون منها النجاح، قام بالدعوة خير قيام، ونهض نهوضاً لم يُعهد مثله في سائر رسل الله الكرام، صلوات الله عليهم أجمعين.

كيف قام الدين الإسلامي؟

مما يجدر بالذكر أنه لابد من التنبيه عليه، ودحض [illegible] [illegible] إن الدين الإسلامي قام بالسيف [illegible]. فقد ذكر ذلك بعض [illegible] الأفرنج [illegible] [illegible] ولكن الأمر بعكس ما يظنون، لأن الدين أمر وجداني ساق إليه الإنسان بهادي العقل عند الدعوة إليه، فمتى [illegible] النفس عن أجبر الإنسان على ذلك فكيف يكون عنده هذا الإذعان؟

والحق الذي لا محيد عنه أن الدين إنما قام بالدعوة. والدعوة حياة الأديان. ومن يرجع إلى نصوص القرآن المجيد وما صح من سُنَّة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وما رواه الثقات من سيرة

الاسلام الذريعة ، يتهيأ له الامر ، وتنجلي له الحقيقة .

هل حارب الرسول بالسيف في ذات يوم قريش عندما كذب دعوته في مكة بضروب من الأعمال المنكرة ، حتى نزلت بالجبال ذ[illegible] ؟ .

هل أجبر الأنصار أهل المدينة على اعتناق الدين ؟ أم دعاهم فأتوه مؤمنين ثم هاجر اليهم فرارا من كفار مكة لما همّوا بقتاله .

هل هل [illegible] ؟ ؟

كلا والله . كل ذلك لم يكن . والرسول انما قاتلهم دفاعا عن نفسه وعن المسلمين ، وردا لعدوانهم ، وحماية للدعوة من معارضيها ، لأن الأمان لا يتحقق مع عدم توفر الأمن واتقاء أن أعتدي على المسلمين . فهل سمل ذلك اكراها في ديانة الناس ... بالسيف لاحل ماذكرنا ... كل غزوة ...

نسب النبي

صلى الله عليه وسلم

هُوَ سيّدُنَا أَبُو القَاسمِ محمدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عبد المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلاَبِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ إِلْيَاسَ بْنِ مُضَرَ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعَدِّ بْنِ عَدْنَانَ .

هذَا هُوَ النَّسَبُ المُتَفَقُ عَلَى صِحَّتِهِ مِنْ عُلمَاءِ الحديثِ والتَّارِيخ . أمَّا النَّسَبُ فَوقَ ذَلِكَ فَلاَ يَصِحُّ فيهِ طَرِيقٌ . وَغايَةُ الأَمْرِ أَنَّهم أَجمَعُوا على أنَّ نَسَبَ الرَّسُولِ ينتهي إِلَى اسماعيلَ ابْنِ ابْرٰهِيمَ ، عليهما السلامُ .

فهذا نَسَبُهُ مِنْ جِهَةِ أَبيهِ . وأمَّا نَسَبُهُ من جهة أُمِّهِ فهوَ (صلى الله عَلَيْهِ وَسلم) ، محمَّدُ بْنُ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبِ بْنِ عبدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ ابْنِ كِلاَبٍ ، فَتَجمَعَ معهُ (عَلَيْهِ السَّلاَمْ) في جَدِّهِ كِلاب .

ادوار حياة الرسول

وَأَدْوارُ حياتهِ (صلى الله عليه وسلم) ثلاثةٌ : مِنْ وِلادتِهِ إلى النبُوَّةِ ؛ وَمِنَ النُّبُوَّةِ إِلَى الهِجْرَةِ ؛ وَمِنَ الهجرة إلى وَفاتهِ .

الدور الأول من حياته

ويبتدىء من حمله الى النبوة

كانَ عبدُ اللهِ بنُ عبدِ المطّلبِ أبو الرسولِ الأعظمِ من أحبِّ ولدِ أبيهِ إليهِ ، ولمّا بلغَ عمرُهُ ثمانيَ عشرةَ سنةً زوّجهُ آمنةَ بنتَ وهبٍ . فحملتْ منهُ برسولِ اللهِ صلى الله عليهِ وسلم . ثمّ لم يلبثْ أبوهُ أنْ توفّيَ وهيَ حاملٌ بهِ ، أوْ بعدَ وضعِهِ بشهرينِ ، وكانتْ ولادتُهُ يومَ الإثنينِ في الثاني عشرَ من ربيعِ الأوّلِ ، عامَ الفيلِ [1] ، حينَ طلوعِ الفجرِ ، وهوَ وقتُ البركةِ ، كما قالَ عليهِ السّلامُ : « بُورِكَ لأمّتي في بكورِها » . وكانتْ ولادتُهُ في زمنِ الملكِ العادلِ كسرى أنوشروانَ ملكِ فارسٍ .

---

(١) في السنة التي جاء فيها الفيل الى مكة وذلك ان ملكاً من ملوك الحبشة جهز جيشاً على مكة ليهدم الكعبة . وكان في ذلك الجيش فيل عظيم . لكن ردّ الله كيده في نحره وجعل كيده في تضليل وارسل عليهم طيرا ابابيل « اي فرقاً وجماعات » ترميهم بحجارة من سجيل « اي طين متحجر » فجعلهم كعصف مأكول اي كورق زرع أكلته الدواب او الدود . اي اهلكهم وابادهم . ويوافق مولده عليه السلام (٢٠) نيسان « ابريل » سنة ٥٧١ من ميلاد المسيح عليه السلام

ولم يترك له ثروة من المال الا خمسة جمال وبعض نعاج وجارية . وتزوج أهل من [illegible] . وأرضعته حليمة السعدية .

وذلك انه كان من عادة العرب أن يرسلوا الرضع من اولادهم في البوادي ليكون أنجب للولد . فجاءت نسوة من بني سعد ابن بكر يطلبن أطفالا يرضعنهم . فكان الرضيع المحمود (صلى الله عليه وسلم) من نصيب حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية . واسم زوجها أبو كبشة . فدرت البركات على أهل ذلك البيت الذين أرضعوه . مدة وجوده بينهم . وكانت تزيد على أربع سنوات .

وفي السنة السادسة من عمره أخرجته أمه الى أخواله بالمدينة . فتوفيت بالأبواء (1) . فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب . ورق له رقة لم يعهدها في ولد . [illegible] كان [illegible] عليه [illegible] يدل على أن له شأنا عظيما في [illegible] . [illegible] ستين من [illegible] حده . فكفله [illegible] أبو طالب [illegible] كريم [illegible] أنه كان من [illegible] [illegible] في السنة [illegible] سافر إلى الشام [illegible] الا [illegible]

(1) الابواء قرية بين مكة والمدينة و[illegible]

أبي طالب ، وقد اجتمع رجال القافلة وهم بقرب بصرى بالراهب بحيرى . فأخبرهم عن ظهور نبي من العرب في هذا الزمان ، كما عرف ذلك في كتبهم المقدسة . فقالوا : انه لم يظهر الى الآن .

وفي سنة عشرين حضر حرب الفجار ، وهي حرب كانت بين قريش وحلفائها وبين قيس وحلفائها ، في موضع بين مكة والطائف يسمى « نخلة » . وكادت الدائرة تدور على قيس لولا أن حصل الصلح بينهما .

وفي سنة خمس وعشرين سافر إلى الشام المرة الثانية بتجارة لخديجة بنت خويلد . [وكانت تستأجر الرجال في مالها] وقد اختارته لهذا العمل لما سمعت عنه من الامانة والصدق و [illegible] الصفات الجليلة التي جبل عليها منذ حداثته حتى [illegible] وسار [illegible] فباعا وابتاعا [illegible] .

وفيها [illegible] بخديجة [illegible] .

[illegible]

قرَيش على هَدمِهـا وبنائها ، وقد شهدَ الرّسولُ بناءها وعَمِلَ فيها .

وقد جعلوا ما يُنفَقُ عليها منَ الأموالِ طاهِراً ليس فيهِ ربـاً ولاَ مَهرَ بغيٍ ، وجعَلَ الأشرافُ من قُرَيشٍ يحمِلونَ الحِجارَةَ على أعناقهم ، وكانَ الرّسولُ وعمُّهُ العبّاسُ فيمن يَحمِلُ ، وكانَ الرّسولُ مُؤتَزِراً ، فقال لهُ العبّاسُ : اجعَلْ إزارَكَ على عاتِقِكَ فوقَ عنُقِكَ ، ففعل عليهِ السّلامُ ذلِك ، فبدَتْ سوأتهُ ، فسقَطَ على الأرضِ ، فضمَّهُ عمهُ أليهِ ، وقال : ماالذي أصابَكَ ؟ قال : سمِعتُ صوتاً شديداً : أنْ شُدَّ علَيكَ ازارَكَ . وقد رَضِيت قرَيشٌ بحكمِهِ عندَ اختِلافِهم فيمنْ يَضَعُ الحجَرَ الأسودَ حتى كادوا يقتَتِلون لذلكَ . ففصلَ هذا المشكلَ العظيمَ الرّسولُ الأعظمُ ، فإنهُ بَسطَ رِداءَهُ ، وقال : لِتأخُذ كلُّ قبيلَةٍ بِناحِيَةٍ منَ الثَّوبِ . ثمَّ وضعَ الحَجَرَ فيهِ وأمرهم بِرَفعِهِ حتّى انتهَوا إلى مَوضِعِهِ ، فأخذَهُ الرّسولُ ووضَعَهُ فيهِ .

ولمّا كانَ لهُ أربعونَ من عمرِهِ أكرَمهُ اللهُ بالنّبوّةِ والرّسالةِ .

شذرة من معيشته

قبل النبوة

م يقم على تربيته مهذب، ولم يعن[1] به مؤدب؛ بين أتراب[2] من نبت الجاهلية، وعشراء من حلفاء الوثنية، وأولياء من عبدة الأوهام، وأقرباء من حفدة[3] الأصنام. غير أنه مع ذلك كان ينمو ويتكامل بدناً وعقلاً وفضيلة وأدباً؛ حتى عرف بين أهل مكة وهو في ريعان[4] شبابه بالأمين، أدب إلهي لم تجر العادة بأن تزين به نفوس الأيتام من الفقراء؛ خصوصاً مع فقر القوام. فاكتهل[5] صلى الله عليه وسلم كاملاً والناس ناقصون؛ رفيعاً والناس منحطون، موحداً وهم وثنيون، سلماً[6] وهم شاغبون[7]، صحيح الاعتقاد وهم واهمون، مطبوعاً على الخير وهم به جاهلون، وعن سبيله عادلون[8]»

---

(١) أي لم يعتن (٢) أي ناشئة ماتلبس له في سنه. والمراد بالنبت الأبناء
(٣) الحفدة الخدم والأعوان (٤) أي أول (٥) أي جاوز الثلاثين من عمره
(٦) أي مسالما (٧) مهيجون للشرور (٨) نقلت هذه الشذرة من أولها الى هنا من رسالة التوحيد لشيخنا الاستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية . رضي الله عنه .

رُبِّيَ بينَ قومٍ قدِ اعتادوا الفجورَ والزِّنى وسفكَ الدماء،
وغيرَ ذلكَ من قبائحِ الأشياء. فكان لا يميلُ الى ما يميلون، ولا
يَعبُدُ ما يَعبُدُونَ، ولا يتناولُ ما يتناولونَ. فكانَ عليهِ السلامُ
أحسنَهم أخلاقاً، وأصدقَهم حديثاً، وأعظمَهم أمانةً، وقد
حفظَهُ اللهُ منذُ صغرِهِ من كلِّ أعمالِ الجاهليةِ التي جاءَ الشرعُ
الشريفُ بضدِّها. وفي الجملةِ فقد خُلِقَ مجبولاً على محاسنِ
الأفعالِ، مطبوعاً على جيادِ الأعمالِ.

نشأ (عليهِ الصلاةُ والسلامُ) ولم يكُنْ عندَهُ ما يستعينُ بهِ
على الاستغناءِ عنِ الكسبِ؛ لذلكَ لمّا بلغَ مبلغاً يمكنُهُ أنْ
يعملَ عملاً كانَ يرعى الغنمَ مع إخوتهِ منَ الرَّضاعِ في الباديةِ.
وكذلكَ لمّا رجعَ الى مكّةَ كانَ يرعاها لأهلِها على قراريطَ (1).
على أنّه لو أرادَ المالَ وكثرتَهُ، وادّخارَهُ لكانَ لهُ ذلكَ؛
خصوصاً بعدَ أنْ استأجرتْهُ خديجةُ واختارتْهُ أنْ يكونَ
زوجَها. وكانَ فيما يجتنيهِ (2) من ثمرةِ عملِهِ غَناءٌ (3) بهِ وعونٌ (4)
على نوائبِهِ مما كانَ عليهِ [illegible]. لكنَّهُ لم تَرُقْهُ (5) الدُّنيا،
ولم تَغُرَّهُ زخارفُها، ولم يتملَّكْ ما كانَ يتملّكُهُ مثلُهُ من الوصولِ
إلى ما رغبتْهُ الأنفسُ من نعيمِها؛ بل كلّما تقدّمتْ بهِ السنُّ

(1) [illegible] قيراط وهو [illegible] والدانق سدس الدرهم (2) أي يكسبه
(3) أي [illegible] (4) أي إعانة (5) أي [illegible].

زادَتْ فيهِ الرَّغبةُ مما كانَ عليهِ الكافَّةُ، وَنما[1] فيهِ حُبُّ الانفرادِ والانقطاعِ إلى الفكرِ والمراقبةِ[2] والتحنّث[3] بمناجاةِ اللهِ تعالى، والتوسّلِ إليهِ في طلبِ المخرجِ من هيئهِ الأعظمِ في تخليصِ قومهِ، ونجاةِ العالمِ منَ الشرِّ الذي تولّاهُ[4]». وبقيَ على ذلكَ مدةً منَ الزمن الى أنْ أكرمهُ اللهُ بالنبوةِ.

---

(١) اي زاد (٢) الخشية و خوف من الله (٣) لتعبد (٤) وهذه العبارة الموضوعة بين قوسين منقولة ايضاً عن رسالة التوحيد.

الدور الثاني من حياته

ويبتدىء من زمن النبوة الى الهجرة

لمّا أحبَّ الرسولُ الانقطاعَ عنِ النّاسِ، وتفرّغَ للتعبُّدِ والمراقبةِ، كانَ أوّلَ ما فُتحَ لهُ منَ الأشايرِ والدّلالاتِ ما كانَ يراهُ منَ الرؤيا الصالحةِ الصادقةِ. فكانَ لا يرى رؤيا إلاّ جاءتْ كما رأى. وقدْ اختارَ لِعُزلتهِ غارَ حِراء. فكانَ يتعبّدُ فيهِ لياليَ معلومةً. فتارةً عشرًا وتارةً أكثرَ. وكانَ يأخذُ لذلكَ الزّادَ؛ ومتى فرغَ منهُ رجعَ إلى خديجةَ فيتزوّدُ لمثلِها.

ولمّا بلغَ عمرُهُ عليهِ السّلامُ أربعينَ سنةً «انفتقَ لهُ الحجابُ عنْ عالمٍ كانَ يحثُّهُ إليهِ الإلهامُ الالهيُّ، وتجلّى عليهِ النّورُ القُدسيُّ، وهبطَ لهُ الوحيُ منَ المقامِ العليِّ»؛ واختارَهُ اللهُ لرسالتهِ، وأنزلَ عليهِ الرّوحَ الامينَ، وهوَ في غارِ حراء [1]، ليُعلّمَهُ كيفَ يهدي قومَهُ والنّاسَ أجمعينَ. فصدعَ بما أُمرَ؛ وبلّغَ ما أُنزلَ إليهِ منْ ربّهِ. وكانتْ الدّعوةُ سِرًّا. فكانَ أوّلُ منْ آمنَ منَ الرّجالِ أبا بكرِ بنَ قحافةَ [2]؛ ومنَ النساءِ زوجهُ خديجةَ؛

«١» حراء هو جبل بمكة فيه الغار الذي اعده الرسول لعبادة الله والاعتزال عن الناس اول أمره «٢» اسم ابي قحافة عثمان .

ومنَ الصِّبيانِ عليٌّ بنَ أبي طالبٍ ، ولمْ يَسجُدْ لِصَنَمٍ قطُّ ؛ ولهذا يُقالُ : كرَّمَ اللهُ وجهَهُ .

وقدْ أجابَ الدعوةَ كثيرٌ منَ الأشرافِ والموالِي كعثمانَ ابنِ عفَّانَ ، والزُّبيرِ بنِ العوَّامِ ، وعبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ ، وصُهيبٍ الروميِّ ، وعمَّارِ بنِ ياسرٍ العبسيِّ ، وعبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ ، وأبي ذرٍّ الغفاريِّ ، وعُبيدةَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ابنِ عمِّ الرسولِ ، وعثمانَ بنِ مظعونٍ وغيرِهم .

هذا ، ولمْ يكُنْ معَ الرسولِ سيفٌ يَضربُ بهِ أعناقَهمْ حتَّى يُطيعوهُ صاغرينَ ، وليسَ معَهُ ما يُرَغِّبُ فيهِ حتَّى يَترُكَ هؤلاءِ العُظماءُ آباءَهمْ ، دونَ أنْ يَعبَئُوا بما عندَهمْ من الثروةِ الوافرةِ ؛ ثُمَّ يتَّبِعوا هذا الرسولَ ، ويتحمَّلوا إهانةَ أهليهِمْ وتعذيبَهم إيَّاهمْ ؛ حتى أنَّ الكثيرَ منهم كانَ واسعَ الثروةِ أكثرَ منهُ (عليهِ السَّلامُ) كأبي بكرٍ وعُثمانَ وخالدِ بنِ سعيدٍ وغيرِهمْ . والذينَ اتَّبعوهُ منَ الموالِي اختاروا الأذى والجوعَ والمشقَّاتِ ؛ ولمْ يَرجِعوا إلى دينِ آبائهم وساداتِهمْ ؛ ولوْ أطاعوا ساداتِهمْ لكانوا في هذهِ الدُّنيا أهنأَ بالاً وأنعمَ عيشةً ؛ ولكنَّ الدِّينَ الحقَّ ما حلَّ في قلبٍ ، ولا سطعَ على عقلٍ إلاَّ فضَّلهُ على كلِّ ما سِواهُ .

فترة الوحي

وقد انقطع الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون ؛ وأرجح أقوالهم فيها أنها أربعون يوماً . والحكمة من فترة الوحي هذه المدة أن يشتد شوقه عليه السلام اليه ، فيكون استعداده لتلقيه أكثر ؛ وقد كان الأمر كذلك ؛ فقد زاد هيامه عليه السلام بالوحي واشتياقه اليه ، وزاد قلقه خوفاً من قطيعة الله له بعد أن أراه نعمته الكبرى ، وهي اختياره لأن يكون واسطة لهداية خلقه .

ثم تتابع نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم .

وكان أول ما علمه جبريل ملك الوحي من الآيات قوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق ، خلق الانسان من علق ؛ اقرأ وربك الأكرم ، الذي علم بالقلم ، علم الإنسان ما لم يعلم » .

الدعوة سراً ثم جهراً

وكانت الدعوة سراً حذراً من مفاجأة الناس بأمر غريب ، ثم أمره الله بالجهر بقوله تعالى : « فاصدع بما تؤمر وأعرض

عَنِ الْمُشْرِكِينَ». فلبّى داعيَ اللهِ، وخاضَ(١) غَمراتِ(٢) الدَّعوةِ، وسلكَ مَفاوِزَ(٣) النَّصيحةِ، واقتحمَ ميدانَ الإرشادِ، ودعا النَّاسَ إلى اللهِ تعالى وعبادتِه وحدَهُ، وأنْ يتركوا ما كانَ عليهِ آباؤهم منَ الشِّركِ والكُفرِ وعبادةِ الأوثانِ ودُعاء الأصنامِ؛ وأمرَهم بتركِ المُنكراتِ، وهجرِ المحرّماتِ. فمنهم مَنِ اهتدى، ومنهم من حقّتْ عليهِ الضَّلالةُ.

وقد لاقى من أجلِ ذلكَ أذىً عظيماً من قومِهِ، كالرَّمي بالحجارةِ، ورمي القذرِ على بابهِ، وعزمِهم على خنقِهِ وقتلهِ. إلى غيرِ ذلكَ ممّا يحمرُّ لهُ وجهُ الإنسانيَّةِ خجلاً. وكانَ يشتدُّ أذاهم لهُ إذا ذهبَ الى الصَّلاةِ عندَ البيتِ. وقدِ استمرُّوا على أذاهُ واستمرَّ على الصَّبرِ، إلى أنْ صرعَ الحقُّ الباطلَ «إنّ الباطِلَ كانَ زهوقا».

السنة الخامسة من النبوة فما بعدها

وفي السنة الخامسة منَ النُّبوَّةِ أمرَ الرَّسولُ أصحابَهُ بالهجرَةِ إلى الحَبَشَةِ. وذلكَ أنَّ الاذى لم يكُنْ قاصِراً على الرَّسولِ؛

(١) خاض: اقتحم (٢) غمرات: شدائد (٣) مفاوز: مهالك. وهي جمع مفازة

بَلْ تناوَلَ أَصحابَهُ، لِاتِّباعهم إيّاهُ، خُصوصاً مَن لَيسَ لهُ عشيرَةٌ تَحميهِ، أوقَبيلَةٌ تَرُدُّ عنهُ كَيدَ أعدائهِ. فهاجرَ ناسٌ منهم فِراراً بدينِهِم. وهيَ أوّلُ هِجرَةٍ من مَكَّةَ. وعِدَّةُ أصحابِها عَشرَةُ رِجالٍ وخَمسُ نِسوَةٍ. ثمَّ رَجَعُوا بعدَ ثلاثةِ أشهُرٍ. وفي ذلكَ الوَقتِ أسلَمَ حمزَةُ عمُّ الرَّسولِ وعُمَرُ بنُ الخطّابِ (رَضِيَ اللهُ عنهما). وكانَ المسلمونَ إذ ذاكَ بِضعَةً وأربعينَ رَجُلاً وإحدى عَشرَةَ امرَأةً.

دخول الشعب وهجرة الحبشة الثانية

وفي السنة السابعة كانَ دُخولُ النبيِّ الشِّعبَ[1] مَعَ عَمِّهِ أبي طالِبٍ وبَني هاشِمٍ والمُطَّلِبِ مُسلِمِهِم وكافِرِهِم. ماعَدا أبا لَهَبٍ. وذلِكَ عند ماهمَّت قُرَيشٌ بِقَتلِهِ لمّا رَأَوا أنَّ أمرَهُ في ازدِيادٍ. وأنَّ الإسلامَ قد فَشا وانتَشَرَ في القَبائِلِ. فلمّا علِمت قُرَيشٌ بِدُخُولِهِم الشِّعبَ أجمَعُوا على مُنابَذَتِهِم. وأنْ لا يَقبَلوا لهم

---

(١) الشعب. بكسر الشين: موضع يعرف شعب ابي طالب. وذكر صاحب معجم البلدان انه يعرف بشعب ابي يوسف. قال: وكان لعبد المطلب. فقسم بين بنيه حين ضعف بصره. وكان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ حظ ابيه. وكان منزل بني هاشم ومساكنهم اه والشعب. بكسر الشين هو في الاصل: الطريق في الجبل. او ما انفرج بين جبلين والجمع شعاب.

صُلحاً أبداً، وقطَعُوا عنهم الأسواقَ، ومنعوهُم الرِّزقَ، إلاّ أنْ يُسلِمُوا محمَّداً لِلقَتلِ. وكَتَبُوا بذلكَ صحيفةً تتضمَّنُ التَّضييقَ عليهِم في كلِّ شيءٍ. وعلَّقوها في جوفِ الكَعبةِ.

وبعدَ دُخولِ الرَّسولِ شِعبَ أبي طَالِبٍ أمرَ أصحَابهُ بالهجرَةِ إلى الحَبَشةِ وَهيَ الهجرَةُ الثَّانيةُ، وعِدَّةُ أصحابِها نحوُ ثلاثةٍ وثمانينَ رَجُلًا وثمانِي عَشرَةَ امرَأَةً. وتَوَجَّهَ إليهِمُ الذينَ أسلمُوا من جِهَةِ اليمنِ. وَهُمُ الأشعَرِيُّونَ: أبُو موسى وقومُهُ.

فَلمَّا رَأَتْ قُرَيشٌ استِقرَارَ المُهاجِرينَ في الحَبَشةِ أرسَلوا إلى مَلِكِها النَّجاشِي عَمرَو بنَ العاصِ وعبدَ اللهِ بنَ أبي رَبيعةَ بِهدَايَا وتُحَفٍ من بِلادِهم. والتَمَسُوا منهُ أنْ يَرُدَّ مَنْ هاجرَ منَ المُسلمينَ. فأبَى ذلكَ وردَّهُما خائِبَينِ. ثمَّ أسلمَ النَّجاشِي ومَنْ مَعهُ منَ القِسِّيسينَ والرُّهبانِ سنَةَ سَبعٍ منَ الهجرَةِ لمَّا سَمِعُوا سُورةَ مَريَمَ. فأنزَلَ اللهُ في حقِّهِمْ «لَتجِدَنَّ أشدَّ النَّاسِ مَوَدَّةً لِلَّذينَ آمنُوا الَّذينَ قالوا إنَّا نَصارَى. ذَلِكَ بأنَّ مِنهُمْ قِسِّيسينَ ورُهبَاناً وأنَّهُمْ لا يَستكبِرُونَ». ثمَّ ماتَ النَّجاشِي مُسلِماً، وصلَّى عليهِ رَسُولُ اللهِ لمَّا أعلمَهُ جِبرِيلُ بوَفاتِهِ. وَهذِهِ هيَ أصلُ صلاةِ الجنازَةِ على الغائِبِ، كما في صحيحِ البُخارِيِّ.

وفي السنة العاشرة قَامَ رِجالٌ من قُرَيشٍ بِنَقضِ الصَّحِيفَةِ.

فخرجَ الرّسولُ ومنْ معهُ بعدَ ان مكثوا في الشّعْبِ قريباً من ثلاثِ سنواتٍ في شِدةِ الجهْدِ والجوعِ . لاَ يصِلُ إليهم شيءٌ إلاّ سرًّا ، حتى إنهم أكلوا أوراقَ الشّجرِ . وكانَ الرّسولُ قدْ اخبرَ أنّ الأرَضَةَ (١) اكلتْ مافي الصّحيفَةِ منَ الكتابَةِ إلاّ اسماءَ اللهِ . فلمّا أنْزَلوهاَ ليُمزّقوها وجدُوهاَ كما اخبرَ (صلّى اللهُ عليهِ وسلمَ) . ومعَ ذلِكَ فلمْ يَزْدادوا الاّ بَغياً وَعُتُوًّا .

وفيها وَفَدَ عليهِ وفدٌ منْ نصارَى نجرانَ فأسلموا .

وفيها تُوُفيتْ خديجةُ زَوجُ الرّسولِ .

وبعدَ وَفاتِهاَ بِنَحْوِ شهرَيْنِ تُوُفّيَ عمّهُ أبو طالبٍ ، ولهُ مِنَ العُمْرِ سَبعٌ وثمانونَ سنَةً . وكانَ يَدرَأ عنهُ الأعداءَ . ويدفعُ عنهُ الألِدّاء ، ويمنعُهُ ممّن يُريدُ اذاهُ . وَمع انّهُ كانَ يُصدّقُ الرّسولَ فيما جاءَ بهِ ويَعتَقِدُ صدقَهُ بكلِّ ما اخبرَ لَمْ يَنطِقْ بالشّهادَتينِ حتّى آخرِ لحظَةٍ منْ حياتهِ ، خوفاً مِنْ تَعْييرِ قَوْمِهِ إيّاهُ . ولمّا حضرَتْهُ الوَفاةُ جمعَ وُجوهَ قرَيشٍ واشرافَهمْ واوصاهم بالنّبيِّ خيراً وانْ يكونوا منْ انصارِهِ وَاعوانهِ . ومنْ جُملَةِ ما قالهُ : « وقدْ جاءكُمْ بأمرٍ قَبِلهُ الجَنانُ . وانكَرَهُ اللّسانُ .

(١) الارضة هي دويبة تأكل الخشب والورق . يقال أرضت الخشبة بالمجهول تؤرض أرضاً بسكون الراء فهي مأروضة اذا أكلتها الارضة .

مخافةَ الشَّنَآنِ [1] »

وبعدَ وفاتهِ نالتْ قُرَيشٌ منَ الرّسولِ مالمْ تَقْدِرْ على نَيْلهِ منه في حَياةِ ابي طالِبٍ . واشتدّ أذاهمْ لهُ وتَعصّبُهمْ عليهِ .

فَلمَّا رَأَى ذلكَ هاجرَ الى الطَّائِفِ ، فإنّ فيهِ بَني ثَقِيفٍ ، لِيُعِينُوهُ على قَومهِ . ويُساعِدُوهُ حتى يُتَمِّمَ امرَ ربهِ . وكانَ معهُ زَيدُبنُ حارِثةَ . فأقامَ بالطائِفِ شَهراً يَدعُوهُمْ الى اللهِ تعالى ، فَلمْ يُجيبُوا . بَلْ رَدُّوا عليهِ رَدًّا قَبِيحاً . وأغرَوْا بهِ سُفَهاءَهم وعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونهُ ، ورَمَوْا عراقِيبَهُ بالحِجارةِ حتى اختضبَتْ نَعلاهُ بالدِّماء ؛ وكانَ مَولاهُ زَيدٌ يَقِيهِ بِنَفْسهِ ، حتّى لقدْ أُصيبَ في رَأْسهِ بجِراحاتٍ ، فلمَّا لَمْ يَنَلْ مِنهُمْ خيراً رَجعَ إلى مَكّةَ ، ودَخلَها في جوارِ المُطعِمِ بنِ عَدِيّ .

الاسراء والمعراج

وفي السنة الحادية عشرة أكرَمَهُ اللهُ بالإسراء والمِعْرَاج .

أَما الإسراءُ فهوَ تَوَجُّهُهُ لَيْلاً منَ المَسجِدِ الحرامِ [2] إلى المَسجِدِ الأقصَى [3] في بَيتِ المَقْدِسِ ورُجوعُهُ من لَيلَتِهِ . وأمَّا المِعْرَاجُ

---

(١) الشنآن : البغض أي أنكروا رسالته بألسنتنا مخافة أن يبغض الى قومنا ويسير بذلك

(٢) المسجد الحرام : هو مسجد مكة (٣) المسجد الاقصى : هو مسجد القدس

فهو صعوده إلى العالم العلوي، وفيه فرضت الصلوات الخمس .
والإسراء كان بروحه وجسده . وخالف في ذلك من لا يعبأ بقوله . وأما المعراج فقد اختلفوا فيه : أكان بالجسد والروح معاً أم بالروح فقط؟ (أي كان رؤيا صادقة) فالجمهور على أنه كان بهما معاً . وذهب بعضهم الى أنه كان بالروح فقط، ومنهم عائشة والحسن ومعاوية وغيرهم .

بدء انتشار الدين

لما رأى الرسول أن قريشاً لم تمكنه من تأدية الرسالة كان يخرج في مواسم العرب، ويعرض نفسه على القبائل؛ فكان منهم من يرده رداً قبيحاً؛ ومنهم من يرده رداً حسناً؛ ومن أقبحهم رداً بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب .

وممن عرض نفسه عليهم نفر من عرب يثرب [1] من الأوس . فلما كلمهم النبي عرفوا وصفه الذي كانت تصفه به اليهود؛ فقالوا فيا بينهم : « والله إنه النبي الذي تواعدنا به اليهود، فلا تسبقنا إليه » . فآمن منهم ستة كانوا سبب انتشار الإسلام في المدينة؛ ومنهم أسعد بن زرارة . ثم انصرفوا بعد أن

(١) يثرب : هي المدينة المنورة

وَعدُوهُ بالمقابلةِ في الموسِمِ المُقبِلِ .

فلمَّا كانَ العامُ القابلُ لقيَهُ اثنا عشرَ رجُلاً ، منهم عشرةٌ منَ الأوسِ واثنانِ منَ الخزرجِ ؛ وفيهم خمسةٌ منَ السِّتةِ الأُوَلِ ، فآمنوا عندَ العقبةِ وبايَعُوهُ على ما أحبَّ ، وهيَ العقبةُ الأُولَى . وكانَتِ المبايعةُ على ما يأتي وهيَ : « أنْ لا نُشرِكَ باللهِ شيئاً ، ولاَ نَسرِقَ ، ولاَ نزني ، ولاَ نقتُلَ اولادَنا ، ولاَ نأتيَ ببُهتانٍ نفتريهِ بينَ أيدينا وأرجُلِنا ، ولاَ نعصيَهُ في معرُوفٍ ، وأنْ نقولَ الحقَّ حيثُ كُنّا ، لانخافُ في اللهِ لومةَ لائمٍ . » فقالَ لهم عليهِ السَّلامُ : « فإنْ وَفيتُمْ فلَكُمُ الجنّةُ » .

ثمَّ انصرَفُوا إلى المدينةِ فأظهرَ اللهُ فيها الاسلامَ ، ولمْ تبقَ دارٌ منْ دُورِ المدينةِ إلاَّ وفيها ذِكرُ الرَّسولِ .

ولمَّا كانَ العامُ الآتي سنةَ ثلاثَ عشرةَ للنُّبوَّةِ وفدَ على الرَّسولِ منهمْ سبعُونَ رجُلاً وامرأتانِ ؛ فأسلَمُوا وبايَعُوهُ عندَ العقبةِ ، وهيَ العقبةُ الثَّانيةُ .

ثمَّ نقَّبَ عليهم الرَّسولُ اثني عشرَ نقيباً منهُمْ ، لكلِّ عشرةٍ نقيبٌ ؛ وقال لهمْ : « أنتمْ كُفلاءُ على قومِكُمْ كَكفالةِ الحواريِّينَ لعيسَى بنِ مريمَ ؛ وإني كفيلٌ على قومِي » .

ثمَّ انصرفُوا إلى المدينة . فانتشرَ الإسلامُ فيها بينَ أهلِها ، رضيَ اللهُ عنهم .

الدور الثالث من حياته

ويبتدىء من الهجرة الى وفاته

الهجرة الى المدينة

ثمَّ إنَّ الرَّسولَ أمرَ جميعَ المسلمين بالهجرةِ الى المدينةِ لازديادِ الأذى عليهمْ . فصارُوا يتسلَّلونَ [١] خوفاً مِنْ أنْ تمنعَهُمْ قُرَيشٌ. ولَمْ يَبقَ في مكةَ إلاَّ القليلُ . أمَّا قُرَيشٌ فلمَّا رأوْا ذلِكَ أجمَعُوا على قتلِ الرَّسولِ ، وجمعُوا من كلِّ قبيلةٍ شاباً حتَّى يتفرقَ دَمُهُ في القبائلِ . فأعلمَ اللهُ نبيَّهُ ما دَبَّرَهُ الأَعداءُ منَ الكَيْدِ ، وأمرَهُ باللِّحاقِ بدارِ هجرتِه التي ينتشِرُ فيها الاسلامُ . فتواعدَ هوَ وأبو بكرٍ على السَّفرِ . وأعطيا دليلاً ماهراً راحلتينِ [٢] وأمرَاهُ أنْ يجيءَ بهما بعدَ ثلاثِ ليالٍ إلى غارِ ثَوْرٍ [٣]. وكانت ليلةُ خروجِ الرسولِ من مكةَ هيَ الليلةَ التي

---

(١) يتسللون : أى يخرجون واحدا بعد واحد

(٢) واسم هذا الدليل عبد الله بن ورقاء

(٣) ثور : جبل بمكة فيه الغار . وهو الغار المذكور في القرآن الكريم .

أعدَّها المشركون لاغتيالِ الرسولِ . فالتفَّ الشُّبَّانُ حولَ دَاره .
فخرجَ الرَّسولُ وَقد ألقى اللهُ النومَ عليهم فلم يرَهُ منهم أحدٌ .
وخلَّفَ مكانَهُ ابْنَ عمِّهِ عليَّ بْنَ أبي طالِبٍ (كرَّمَ اللهُ وجهَهُ)
ليؤدِّيَ وَدائعَ للناسِ كانت عنده .

ثم سار حتى اجتمع بأبي بكر ، فأسرعا حتى وصلا إلى غار
ثَوْرٍ . وكانَتْ سِنُّهُ إذْ ذاكَ (عليْهِ الصَّلاةُ وَالسلامُ) ثلاثاً
وَخمسين سنةً .

فلَمَّا عَلِمَ المشركونَ بفسادِ مَكْرِهِمْ هاجوا لذٰلِكَ ، فأرسَلوا
الطُّلاَّبَ من كلِّ جهةٍ ، وجعلوا لمن يأتِي به أوْ يَدُلُّ علَيْهِ مِئَةَ ناقةٍ .
وقد وصلوا في طلبِهم إلى الغارِ فأعمَى اللهُ أبصارهم عنهما .

ومِمَّا يُذْكَرُ أنَّ الرَّسولَ (عليْهِ السلامُ) حينما كان ذاهباً مَعَ
أبِي بكرٍ إلى الغارِ كانَ غيرَ لابسٍ شَيْئاً فِي رِجليه فَحمَلَهُ أبو بكرٍ
عَلَى كاهلِهِ حتَّى انْتهى به إلى الغارِ ، فلمَّا أرادَ النَّبيُّ أنْ يَدخُلَ
قال له أبُو بكرٍ : وَالَّذي بَعَثَكَ بِالحقِّ نَبِيّاً لاَ تَدخُلهُ حتَّى أدْخُلَهُ .
فدخل ابو بكرٍ ، فجعلَ يَلْمَسُ الغارَ بِيَدِهِ فِي ظُلمة الليلِ ، مخافةَ
أنْ يكُونَ فيهِ شيءٌ يُؤذِي الرسول (صلى اللهُ عليه وسلم) . فلمَّا لم
يرَ فيهِ شيئاً أوعزَ إلى الرسول بالدخول . ولمَّا أرادَ الرسُولُ النومَ
جعلَ أبو بكرٍ (رضيَ الله عنه) رأسَهُ على رُكْبتِهِ . وبينما كان

(عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ) نائماً رأى أبو بكرٍ نَقباً في الأرضِ ، فوضعَ عَقِبَهُ عليهِ خشيةَ أنْ يكونَ فيهِ ما يُؤذي الرسولَ ؛ فلدغتْهُ عقربٌ كانَتْ فيهِ ، فلم يتحرّكْ . فلما اشتدّ به الألمُ تساقطتْ دموعهُ على وجهِ الرّسولِ فأستيقظَ ؛ فقالَ لهُ : ما يُؤذيكَ ؟ فقالَ : لُدِغتْ ؛ فتفلَ عليهِ فذهبَ ما يجدُهُ من الألمِ بإذنِ اللهِ .

وبعدَ ثلاثِ ليالٍ جاءهما الدليلُ بالرّاحلتَينِ . فساروا قاصدينَ إلى المدينةِ . فوصلوا الى قُباء [1] يومَ الاثنينِ لاثنتي عشرةَ ليلةً خلتْ من ربيعٍ الأوّلِ . وكانَ التّاريخُ منْ ذلكَ ثمّ رُدَّ إلى المُحرَّمِ . وهوَ أوّلُ تاريخٍ جديدٍ لظهورِ الاسلامِ ، بعد أن مضى عليه ثلاثَ عشرَةَ سنةً ، وهوَ مُضيّقٌ عليهِ في مكةَ ، ورسولُ اللهِ ممنوعٌ من الجهرِ بعبادةِ ربِّهِ .

وبهذهِ الهجرةِ تمّتْ للرّسولِ سُنّةُ إخوانهِ منَ الأنبياءِ قبلَهُ ؛ فما مِنْ نبيٍّ إلاّ نبتَ في بلادِ نشأتِهِ ، ثمّ هاجرَ عنها ؛ من ابراهيمَ أبي الأنبياءِ إلى عيسى بنِ مريمَ كلمةِ اللهِ .

وقد بنى رسولُ اللهِ وهوَ في قُباءَ مسجدَها الذي وصفَهُ اللهُ

---

(١) قباء . بالمد والقصر : قرية على ميلين من المدينة المنورة على يسار القاصد منها الى مكة . ويجوز في قباء الصرف وعدمه . وهناك مسجد التقوى المراد بقوله تعالى : « لمسجد اسس على التقوى » . وفيها ايضاً مسجد الضرار المراد بقوله عز وجل : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » .

بِأَنَّهُ مَسجِدٌ أُسِّسَ عَلى التَّقوى من أَوَّلِ يَومٍ ، وَقَد صَلّى فيهِ الرَّسولُ بِمَن مَعَهُ منَ المُهاجِرينَ والأَنصارِ .

ثمَّ خَرَجَ الرَّسولُ مِن قُباءٍ ، بعدَ أَن أَقامَ فيها اثنَتَينِ وَعِشرينَ لَيلَةً . وَفي الطَّريقِ أَدرَكَتهُ الجمعةُ ، فَصلَّاها بمَن مَعَهُ منَ المسلمينَ ، وكانوا مِئَةً ، وَهيَ أَوَّلُ جُمعَةٍ صَلَّاها .

ثمَّ رَكِبَ الرَّسولُ بَعدَ الجُمعَةِ وتَوَجَّهَ إلى المدينةِ . وَالأَنصارُ مُحيطونَ بِهِ . وَهُم مُتَقَلِّدونَ سُيوفَهُم . وهُنا حَدِّث عن سرورِ أهلِ المدينةِ ولا حَرَجَ . وَقَد خَرَجَ لِمُلاقاتِهِ ، فيمَن خَرَجَ ، النِّساءُ وَالصِّبيانُ وَالوَلائِدُ يُنشِدن :

أَشرَقَ البَدرُ علينا من ثَنِيَّاتِ الوَداعِ

وَجَبَ الشكرُ علَينا ما دَعا للهِ داعِ

أَيُّها المَبعوثُ فينا جِئتَ بالأَمرِ المُطاعِ

وَلمَّا استَقَرَّ (عليه السلامُ) في المدينةِ أَرسلَ في طَلَبِ مَن تَخلَّفَ من أَهلِهِ . وَخَرَجَ مَعهم عبدُ اللهِ بنُ ابي بكرٍ في عِيالِ ابيهِ . ومنعَ مُشرِكو مكةَ بعضاً منَ المسلمينَ المُستَضعَفينَ من الهِجرَةِ وَحَبَسوهُم وَعَذَّبوهم .

السنة الاولى للهجرة

فيها بَنَى مسجدَهُ الشريفَ ؛ وقد عَمِلَ فيه الرسولُ بنفسِهِ، ترغيباً للمسلمين في العمل .

وفيها شُرِعَ الأذانُ لِيَجْتَمعَ النَّاسُ متى حان (١) وَقْتُ الصلاة .

ولمَّا رأتِ اليهودُ أنَّ قَدَمَ الإسلامَ قد رسختْ في المدينة هاجَتْهم (٢) العداوةُ والحسدُ ؛ فتحزَّبوا على المسلمين ، وقد كانوا من قبلُ يَسْتَفْتِحُون (٣) على المشركين بنبيٍّ يُبْعَثُ قَدْ قَرُبَ زمانُهُ ، وذَلِكَ اذا نَشِبَتِ (٤) الحربُ بينَ الفريقين . ولكنْ قد أعْمَتْهُمْ الرِّئاسةُ ، فاستعظَمُوا الأمرَ ، وكانَ يُساعِدُهُمْ على عملهم هذا جماعةٌ منافقونَ من عربِ المدينة يَرْئسُهُمْ عبد الله بنْ أُبَيِّ بنِ أبي سَلُولٍ الخزرجيُّ . ثم عقدَ الرَّسولُ مَعَ اليهودِ عَقْداً على أن يتركوا أذاهُ ويتركَ محاربتَهم .

---

(١) حان : قرب (٢) هاجتهم : اثارتهم وهيجتهم
(٣) يستفتحون : يستنصرون (٤) نشبت : علقت

مشروعية القتال

عَلِمْتَ أنَّ الرَّسولَ لم يكُنْ معهُ سَيفٌ يَضرِبُ بهِ أعناقَ النَّاسِ لإكْرَاهِهِمْ على الدِّينِ؛ بَلْ كانَ الأمْرُ قاصراً على الدَّعوةِ إليه والتَّبْشيرِ به؛ فَعارَضَهُ منْ عارَضَهُ، وآذاهُ مَنْ آذاهُ بَغْياً وحَسداً، وطَمَعاً في الرِّئاسَةِ، ومعَ ذلكَ فقد كانَ الرَّسولُ ومَنْ آمَنُوا معهُ صابِرينَ على ذلكَ الأذَى والضَّيمِ، الى أنْ فرَّجَ اللهُ عنهم بالهجرَةِ، وشدَّ أزرَهمْ، وأباحَ لهمْ أنْ يأخُذُوا بثأرِهِمْ منْ أعدائِهِم قرَيْشٍ. وكانَ الأمْرُ قاصِراً عليهمْ. لكِنْ لمَّا انْحازَ إلى قُرَيْشٍ غيرُهُمْ منَ العرَبِ، وَجاهَرُوا المُسْلِمينَ بالعدَاوةِ وساعدُوا قُرَيْشاً. قاتَلهم المُسْلِمونَ. وكذا لمَّا جاهَرَتِ اليَهودُ بالعُدْوانِ وأرادُوا حَربَ المُسلمينَ قاتَلهم المُسْلِمونَ. ثمَّ صارَ الأمْرُ بالجِهَادِ عامًّا لِكلِّ منْ أرادَ المُسلمينَ بِسُوءٍ. وَبهذا تَعلمُ صِحَّةَ ما أثبَتْناهُ في أوّلِ الرِّسالَةِ مِنْ أنَّ الدِّينَ لمْ يَقُمْ بالسَّيفِ؛ وإنما قامَ بالدَّعوَةِ؛ والسَّيفُ إنما شُرِعَ لحمايتِها ودَفْعِ المُعارِضينَ لها.

بدء القتال

ولما أُذِنَ للرَّسُولِ بِقِتالِ أعدائِهِ كانَ أوّلَ مابدأهمْ بهِ انّهُ ارسلَ سَرِيَّةً [١] بِرئاسةِ عمِّهِ حمزةَ لِاعتراضِ عِيرٍ [٢] لهمْ قادِمةٍ منَ الشّامِ ؛ ولمْ يكُنْ حربٌ . ثم سَرِيَةً بِرئاسةِ عُبَيْدَةَ بْنِ الحارثِ ابْنِ عَبْدِ المُطّلبِ لِاعتِراضِ عِيرِهِمْ ؛ فكانَ الرَّمْيُ بالنِّبالِ إلى أنْ هرَبَ المُشرِكُونَ .

السنة الثانية للهجرة

غزوة ودّان [٣]

في هذه السنة غزوة ودان — خَرَجَ الرَّسُولُ في سِتّينَ رَجُلاً مُعترِضاً عِيرَ قُرَيْش ، ولمْ يكنْ حَرْبٌ لِأنَّ العيرَ كانتْ قدْ سبقتْهُ .

«١» المراد من السرية كل غزاة لم يكن فيها رسول الله . والمراد بالغزوة ما كان فيها الرسول «٢» العير الجمال التي تحمل الطعام وغيره . وكان معها ثلاثمئة رجل يرئسهم ابو جهل . وقصد الرسول من أخذ العير أن تضعف قوة قريش المالية فلا يستطيعوا الثبات في المحاربة . لانهم كانوا بلا شك يقصدون قتاله انتصاراً لآلهتهم .

«٣» ودان . بفتح الواو وتشديد الدال : قرية بين مكة والمدينة .

غزوة بواط [١]

وفيها غزوة بواط : خَرَجَ اليها في مِئَتَيْنِ من المُهاجِرِينَ يُرِيدُ العِـيرَ ولَمْ يَلْقَ كَيْداً .

غزوة العشيرة [٢]

وفيها غزوة العشيرة : خَرَجَ فيها الرَّسول بمئةٍ وخمسينَ من المهَاجِرينَ لاعتِرَاضِ عِيرٍ عظِيمةٍ لِقُرَيْش يَرْئَسُها أَبُو سُفيانَ ، وكانَتْ قاصِدةً إلى الشَّامِ ولَمْ يَحْصُلْ حَربٌ ، لِفَواتِ العِيرِ .

غزوة بدر الاولى [٣]

وفيها غزوة بدر الاولى : وتُسمَّى غَزْوَةَ سَفَوانَ [٤] أَيْضاً : خرَجَ إِلَيْها الرَّسولُ في طَلبِ كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ الفِهْرِيّ ، لأَنَّهُ أَغارَ على سَرْحِ [٥] المدِينَةِ وهرَبَ ، ولَمْ يكنْ قِتالٌ ، لفِرَارِ كُرْز .

«١» بواط . بضم الباء وتخفيف الواو : جبل من جبال جهينة بناحية رضوى .

«٢» العشيرة . بضم العين : ويقال لها ذو العشيرة ايضاً : موضع او حصن بين ينبع وذي المروة يفضل تمره على سائر تمور الحجاز .

«٣» بدر : اسم ماء بين مكة والمدينة . بينه وبين ساحل البحر ليلة .

«٤» سفوان . بفتح السين والفاء : واد من ناحية بدر .

(٥) السرح : المال الراعي كالغنم ونحوها .

وفيها : أرسلَ سَريَّةً برئاسةِ عبدِ الله بنِ جحشٍ لاعتراضِ عِيرِ قُرَيشٍ القادمةِ من الشامِ ؛ فأصابُوها ورجَعُوا . وهيَ أولُ غنيمةٍ في الإسلامِ .

وفيها : تحوّلتِ القِبلةُ عن بيتِ المَقدِسِ إلى الكعبةِ ، بعدَ أنْ مكثَ المسلمونَ يَتوجَّهُونَ إلى بيتِ المقدسِ ستَّةَ عشرَ شهراً .

صوم رمضان وزكاة الفطر

وَفي شَهرِ شَعبانَ من هذهِ السَّنةِ فُرِضَ صومُ رمضانَ . وكانَ (عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ) قبلَ ذلكَ يَصومُ ثلاثةَ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ .

والحكمةُ منَ الصومِ أشهَرُ مَنْ أنْ تُذكَرَ ؛ ولوْ لمْ يكُنْ من فوائدِهِ سِوَى أنَّ الصَّائمَ يَذُوقُ من قوارِصِ الجوعِ والعَطشِ ما تَلينُ بهِ نفسُهُ ويتهذَّبُ به خُلُقُهُ ، فيتذكَّرُ حالةَ الفُقَراءِ والمساكينِ ، فيَسهلُ عليهِ بَذلُ الصَّدقاتِ لهم رحمةً بهمْ ، لكَفَى .

وقدْ أوجبَ الشَّارعُ الحكيمُ عقبَ الصَّومِ زَكاةَ الفطرِ وجعلَ قبولَ الصَّومِ مُعلَّقاً على بَذلِها لِمُستحِقِّها . والفائدةُ من

الصَّوْمِ والصَّدَقَةِ في الحَقِيقَةِ راجِعَةٌ إلَيْنا ، وَمنفَعةُ ذلِكَ عائِدَةٌ علَيْنا ؛ لأنَّ اللهَ لَيْسَ مُحتاجاً إلى عِبادَاتِنا ؛ وإنما أمرَنا بِذلِكَ لِما فيهِ منَ الخيرِ العميمِ . واللهُ غَنِيٌّ عنِ العالمينَ .

وَأمَّا مَنْ يَقُولُ : إنَّ اللهَ أمرَ النَّاسَ لإعناتِهِمْ وإرهاقِهِمْ والتَّضييقِ علَيهِمْ فهوَ جَاهِلٌ غِرٌّ بَعيدٌ عنْ مَحَجَّةِ الصَّوابِ ؛ اذْ ما منْ عِبادةٍ إلاَّ وَفِيها حِكْمةٌ باهِرَةٌ وموعِظةٌ ظاهِرَةٌ ، يعلَمُها منْ يَعلَمُها ، وَيجهلُها مَنْ يجهلُها .

زكاة المال وحكمتها

وفي السنة الثانية أيضاً فرَضَ اللهُ علَى الأغنِياءِ منَ الأُمةِ الزَّكاةَ الَّتي هِيَ النظامُ الوحيدُ والسببُ الأقوى لدَفعِ غائلةِ الفقرِ والحاجةِ عنِ الأُمةِ ، إنْ هِيَ صُرِفَتْ بِحقِّها على مُستحِقِّيها ؛ فيأكلُ الفقراءُ والمساكينُ والعَجَزَةُ واليتامَى ، الذينَ ليسَ لهمْ مَنْ يقومُ بحاجاتِهِم ولا ما يَقومُ بأوَدِهِمْ ، منْ مال إخوانِهِم الأغنِياءِ بلاَ ضَرَرٍ ولاَ ضِرارٍ .

والزَّكاةُ لمْ يُوجِبْها الشَّارعُ الحكيم عَبَثاً ؛ وانما فرَضَها لمنافِعِها

الجمة ، وفوائدها الكثيرة ، التي منها تهذيب النفوس حتى تتجرد عن رذيلة الشح ودناءة البخل ، وتتحلى بأوصاف الجود ، وتتزين بنعوت السخاء والكرم ؛ هذا عدا ما قدمناه من رفع الفقراء من وهدة العدم ، وتخليصهم من مخالب الفقر . وكل من نظر نظرة منصف بعيد عن التعصب يحكم أن نظام الزكاة ، مع كونه غير مضر بالاغنياء ، سبب لتخفيف وطأة الفقر الذي أحوج كثيراً من فقراء الأمم أن يخالفوا نظام الانسانية ، ويؤسسوا مبادي ، وأصولاً لتقويض أركان العمران ، ومباني الأمن والراحة ، رغبة في المساواة بين الغني والفقير ؛ كما يفعل ذلك فوضويو الاشتراكيين .

أما ما أوجبته الشريعة الغراء فهو في غاية العدل ونهاية الإنصاف ؛ لأنها لم تجبر الغني ، الذي أضاع جزءاً وافراً من حياته ان يشاطر الفقير ماله ؛ بل امرته بأن يؤدي في السنة جزءاً مخصوصاً من ماله عن طيب نفس منه . ولكن كثيراً ممن يسمون أنفسهم مسلمين غافلون عن فائدة هذا النظام ؛ ولذا أهملوا هذه الفريضة العظيمة ، إما عن عدم اكتراث لها ، أو عن بخل ، أو بحيل يظن فاعلها أنها تسقط الزكاة عنه . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

غزوة بدر الكبرى(١)

وفي هذهِ السَّنةِ وَقعَتْ غَزْوَةُ بَدْرٍ الْكُبرَى وهيَ الثَّانية : وذَلِكَ أنَّ الرَّسولَ خَرَجَ ، ومعَهُ ثلاثُ مِئَةِ رجلٍ وثلاثةَ عشَرَ رَجُلاً(٢) ، لِيعترِضَ عِيرَ قُرَيْش العظيمَةَ وهيَ راجعَةٌ منَ الشَّام (وهيَ التي قدَّمنا في غزْوَةِ الْعُشيرَةِ أنها فاتَتْهُ ولم يَلقَهَا) فلمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بذلِكَ جمَعَتِ الجموعَ وكانتْ عِدَّتهم ألفَ رَجلٍ . فَعلِمَ الرَّسولُ بهم فقصدَهُم بمَنْ معَهُ على قِلَّتهم . فالْتقَى الفريقَانِ ببَدْرٍ . وكانَ يوماً منْ اشدِّ الأيَّامِ هَوْلاً . وايَّدَ اللهُ الْمُسْلمينَ بالملائكـةِ تُقاتِلُ مَعهم(٣) . فلم تكنْ إلاَّ ساعَةٌ حتى دارَتِ الدَّائرَةُ على قُرَيْشٍ ، فانْهزَمُوا تارِكينَ في ساحَةِ الحربِ سَبعينَ قتيلاً وسَبعينَ أسيراً . وغنمَ المسْلِمُونَ غنائِمَ عظيمةً . وكانَ هذا اليومُ هوَ يومَ الْفُرقَانِ(٤) الّذي أعزَّ اللهُ بهِ الإسلَام . وممَّنْ قُتِلَ في هذهِ المَعْمَعَةِ من المشركينَ

---

(١) بدر هي اسم ماء او اسم بئر . وكانت الواقعة قريباً منها(٢) . مائتان وأربعون من الانصار والباقون من المهاجرين . ولم تكن الانصار تخرج معه قبل هذه المرة

(٣) ويروى عن ابن عباس ان الملائكة لم تقاتل الا يوم بدر ، وفيما سواه كانت عددا ومددا .

(٤) الفرقان : كل ما فرق بين الحق والباطل ، لهذا سمي القرآن الكريم فرقاناً

حَنظَلَةُ بنُ أَبي سُفيانَ ، وأبو جَهلِ بنِ هشامٍ . وقُتِلَ منَ المُسلمينَ اثنا عشرَ رجُلاً أو أربعةَ عشرَ رجلاً . ثمَّ رجعوا إلى المدينةِ فرحينَ مسرُورينَ بهذهِ النُّصرةِ العظيمةِ . وقدِ امتنَّ اللهُ بهذا النَّصرِ على المسلمينَ بقَولِهِ : « ولقدْ نصرَكُمُ اللهُ ببدرٍ وأنتمْ أذِلَّةٌ »

أمَّا الأسرى فافتدتهم قريشٌ ، وكانَ الفِداءُ من أربعةِ آلافِ دِرهمٍ إلى ألفِ دِرهم ومَنْ لم يكُنْ معهُ مالٌ للفِداءِ ، وهو يُحسِنُ القراءةَ والكِتابةَ ، أعطَوهُ عشرةً من صِبيانِ المدينةِ ليُعلِّمَهُمْ ، وكانَ ذلكَ فداءَهُ .

غزوة قرقرة الكدر (١)

وفي هذه السنة : كانت غزوةُ قَرقَرَةِ الكُدرِ : خرجَ الرَّسولُ يُريدُ بَني سُلَيمٍ . ولم يكنْ حربٌ لأنهُ لم يَلقَ أحداً . وكانتْ غَيبَتُهُ خمسَ عشرَةَ ليلةً .

(١) هى موضع قرب المدينة على ثمانية برد منها ، وهي ماء لبني سليم في ذلك الموضع

غزوة قينقاع

وفيها غزوة قَيْنُقَاع : وهم قومٌ من يهودِ المدينةِ ، نقضُوا العهدَ وجاهروا بالعداوةِ ، فحذّر الرسولُ رؤساءهم ، فأغاظُوا لهُ في الكلامِ فحاصرَهم الرسُولُ . فلمَّا رأَوْا عجزَهم سألوهُ أنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَهم ، على أنَّ له الأموالَ ولهم الذريّةَ والنساء . فقبِلَ منهم ، وَطردَهم من المدِينة؛ فلَحقوا بِأذْرِعات . وأخذَ المسلمُون منْ حِصْنهم سلاحاً وآلةً كثيرةً .

غزوة السويق (١)

وفيها غزوةُ السَّويق : خرَجَ يزيدُ أبا سفيَانَ ، لخرُوجهِ لِغَزْوِ المسْلمين . وكانَ معَ النَّبِيِّ مِئَتا راكِبٍ ، ومعَ أبي سُفيانَ مثلُها . ولم يكُنْ قِتالٌ لهرَبِ أبي سُفْيَانَ ومَنَ معَهُ . وكان معَ المشرِكينَ سَوِيقٌ فألقَوْهُ وهم هارِبون تخفيفاً لأثقالهم فغنمه المسلمون .

(١) السويق : هو الناعم من دقيق الحنطة والشعير .

صلاة العيد

وفيها : سنّ (الله) صلاةَ العيدِ الّتي لاتَخفى حِكمتُها على عاقلٍ . فكانَ يَجمَعُهم الرّسولُ في يومَيْ عيدِ الفِطرِ والأضحَى ، ويُصلّي بهم رَكعَتَينِ ، ثمّ يَخطُبُ بهم مُذَكِّراً ، واعِظاً ، حاضّاً على جَمعِ الكلِمَةِ وعدمِ التّفرّقِ ، وأن يكونوا كالجسدِ الواحدِ لافرقَ بين العَرَبيِّ والعَجميِّ والمَولى والسّيّدِ ؛ ثم يُصافِحُ المسلمون بَعضُهم بَعضاً على أتمِّ الوِئامِ والاتّفاقِ ؛ ثمّ يَخرُجونَ لأداءِ الصّدَقاتِ . وصدقةُ عيدِ الفِطرِ زكاتُه ، وصدَقةُ عيدِ الأضحى أضحيّتُهُ .

وفي هـذه السنة : تزوّجَ عليٌّ بفاطمةَ (رضيَ اللهُ عنهما) وكانَ عُمرُهُ إحدَى وعِشرينَ سنَةً ، وَعمرُها خمسَ عشرَةَ سنَةً . وكانَ مِنها عَقِبُ رسولِ الله (صلّى الله عليهِ وسلم) .

وفيها : دَخلَ النّبيُّ بعائِشةَ بنتِ أبي بكرٍ الصّدّيق رضي الله عنهما .

السنة الثالثة للهجرة

غزوة غطفان

فيها غزوة غَطَفَان : خرَجَ الرّسولُ إلَيها يريدُ جَمعاً من بني ثَعلبةَ وبَني مُحاربٍ أرادُوا الإغارةَ على المدينةِ ، يرأسُهم دُعثُورُ بنُ الحارثِ المُحَارِبيُّ ، ومَعهُ أربعُ مئةٍ وخمسُونَ فارساً . فلمَّا عَلِموا بخروجِ الرسولِ هَرَبوا مُتفرّقينَ في الجِبالِ .

وحدَثَ في هذهِ الغَزْوَة أنَّ الرسولَ نَزَعَ ثَوْبَهُ لِيُجَفّفَهُ منْ بَلَلٍ كان قد أصابَهُ ، واتّكأَ تحتَ شَجَرَةٍ ، فجاءَهُ دُعثورٌ يُريدُ قتلَهُ غِيلةً ، فلمَّا همَّ بذلكَ قالَ : « مَنْ يَمنَعُكَ مني يا محمد ؟ » فقالَ الرّسولُ : « اللهُ تعالى » ، فأصابَ الرّجلَ هَيْبةٌ وخوفٌ ، فسقَطَ السّيْفُ من يدهِ فتناوَلَهُ الرّسول وقالَ : « مَنْ يَمنَعُكَ مني ؟ » فقالَ دُعثورٌ : « لا أحد » ، فعفا عنهُ الرّسولُ ، فأسلمَ ودعا أصحابَهُ إلى الإسلام . ولا عَجَبَ منْ إسلامِهِ وإسلامِ قومهِ ، فإنْ هذهِ هي نَتيجَةُ الحُسنى والمعاملةِ الليّنةِ .

غزوة بحران[١]

وفيها غزوة بُحْران : سارَ الرَّسُولُ إليها ومعَهُ ثلاثْ مِئَةٍ من أَصْحَابِهِ ، يُرِيدُ بني سُلَيْمٍ لمَّا بَلَغَهُ أَنَّهُم يُرِيدُونَ الإغارَةَ على المدِينةِ . فوَجدَهم قد تَفرَّقوا . ولم يَلْقَ حرباً .

غزوة أحد[٢]

وفي هذهِ السنةِ كَانَتْ غزْوة أُحُدٍ سارتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ المسْلمينَ أخذاً بِثأرِ مَنْ قُتِلَ من أَشرَافِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ . وكانَ عدَدُهم مَعَ مَنْ حالَفهم مِنَ الْعَرَبِ ثلاثةَ آلافِ رجلٍ ، عدا الخيلَ والْعُدَدَ الكثيرة . فلما عَلمَ الرَّسولُ بذَلِكَ من كِتابٍ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِ عَمُّهُ الْعبَّاسُ خرَجَ وَمَعهُ أَلفُ رجلٍ . ثمَّ رَجعَ عنهم عبْدُ اللهِ بنْ أُبَيٍّ في ثَلاثِ مِئَةٍ من أَصْحَابِهِ المُنافِقينَ .

ولمَّا اصطفَّ الجيْشَانِ لِلقِتالِ أَمرَ الرَّسُولُ الرُّماةَ :[٣] (وكانوا خمسينَ رامِياً برِئاسةِ عَبْدِ الله بْنِ جُبَيْرٍ) قالَ لهم : لاَ تَبْرَحُوا

---

(١) بحران بضم الباء وفتحها والمشهور ضمها : موضع ناحية الفرع بضم الفاء وبين الفرع والمدينة ثمانية برد (٢) أحد : جبل بالمدينة

(٣) الرماة : من يرمون بالنبال ، ومفردها رام

مكانَكُمْ ، أنتصرْنا أم انكسرْنا . ثمّ التقى الجمْعان ؛ فكانت النُّصْرَةُ للمسلمين ؛ ودارَتِ الدَّائِرَةُ على قُرَيْش . فلمّا رأى الرُّماة انتِصارَ المسلمين تركُوا مكانَهُمْ واشتغلوا بالسَّلبِ والنَّهبِ ، الاّ رئيسَهُمْ عبدَ اللهِ وقليلاً معهُ . فلمّا رأى خالدُ بنُ الوليدِ (وكانَ يومَئِذٍ مُشرِكاً) أنّ الجَبَلَ خالٍ منَ الرُّماةِ الذينَ كانُوا حِصْناً للمسلمين منْ ورائهم كرَّ بالخيلِ ؛ وتبِعَهُ عِكْرِمةُ بْنُ أبي جَهْلٍ . فمالوا على عَبْدِ اللهِ ومَنْ بقي معهُ فقتلوهم ؛ ثم انعطَفُوا على المسلمين منْ ورائهم وهم مشتغلون بالدُّنيا ؛ فأعملوا فيهمُ السَّيفَ ؛ فَدهِشَ المسلمون منْ هذا البلاء الّذي صُبَّ عليهم . ودارَت عليهمُ الدَّائرَةُ بعْدَ الانْتِصارِ ، حتّى انهزَمَ جماعةٌ منهم . وثبتَ في ذلكَ الوَقتِ الحرِجِ معَ الرَّسولِ جماعةٌ منَ الصَّحابةِ ، منهم أبو بكرٍ وعُمَرُ وعليٌّ . وقدْ أصابَهُ عليهِ السَّلامْ شدائدُ كثيرةٌ تحمَّلَها بِصبْرِهِ وحزْمِهِ ؛ فقدْ شُجَّ وَجْهُهُ ، وكُسِرَتْ رَباعيَّتُهُ بحَجَرٍ ، وجُرِحتْ وَجنتاهُ . وهَمَّ بِقَتْلِهِ عُثمانُ ابنُ عَبْدِ اللهِ بنِ المُغيرَةِ ، فقتَلهُ الحارثُ بْنُ الصِمَّة . وجاءهُ أُبَيُّ بنُ خلَفٍ يُريدُ قتْلَهُ ، فَرَماهُ (عليهِ السَّلام) بحرْبَةٍ فقتَلهُ . ولمْ يَقتُلْ رسُولُ اللهِ غيرَهُ قطُّ . وكذلِك أصابَ المسْلمينَ الّذينَ كانوا يُدافِعونَ عنِ الرَّسولِ جِراحاتٌ كثيرةٌ .

وكانَ عددُ مَن قُتِلَ منَ المسلمينَ سبعينَ ونيّفاً [١] ؛ منهم ستةٌ منَ المهاجرينَ والباقونَ منَ الأنصارِ . وقُتلَ منَ المشركينَ ثلاثةٌ وعشرونَ . وقد مثّلت قريشٌ بقتلى المسلمينَ تمثيلاً فظيعاً .

وممّن قُتِلَ منَ المسلمينَ حمزةُ عمُّ الرسولِ ؛ غافلَهُ وحشيٌّ غلامُ جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ بحربةٍ كانت سببَ هلاكِهِ ؛ وكانَ جُبَيرٌ هوَ الذي أرسلَهُ لهذا الأمرِ ، أخذاً بثأرِ عمِّهِ طُعَيمةَ الذي قتلهُ حمزةُ يومَ بدرٍ .

وهذا الانكسارُ يُذكّرُنا لو نعلمُ بأمرينِ مهمّينِ : أحدُهما عدمُ مخالفةِ الرسولِ في جميعِ ما يأمرُ بهِ لانهُ لا يأمرُ إلا بما فيهِ الحكمةُ والسَّدادُ . والثاني عدمُ الالتفاتِ لأمرِ الدنيا إذا كانَ فيهِ ما يضرُّ بالدينِ . وهذانِ الأمرانِ فُقِدا يومَ أُحدٍ ؛ أمّا الأوّلُ فلمخالفةِ الرماةِ أمرَ الرسولِ ؛ وأمّا الثاني فلتركِ المسلمينَ الجهادَ والمدافعةَ وميلِهم للسلبِ وعرضِ الحياةِ الدنيا . ولذلكَ سلّطَ اللهُ عليهِم هذا البلاءَ ، بعدَ انتصارِهم على الأعداءِ .

---

(١) النيف : بتشديد الياء وتخفيفها ، معناه الزيادة ويستعمل بعد العقد فيقال عشرة ونيف ، ومن الخطأ ان يستعمل قبله . فلا يقال نيف وعشرة . كما هو الشائع على الالسنة والاقلام .

غزوة حمراء الأسد[1]

وفي هذه السنة : كانت غزوةُ حمراءِ الأسدِ : خرجَ إليها الرّسولُ صبيحةَ يومِ أُحدٍ يريدُ قريشاً خوفاً من رجوعِهم الى المدينةِ . وأمرَ أنْ لا يخرُجَ إلاّ من كانَ معَهُ بالأمسِ . ولمْ يلقَ حرباً ، لأنَّ المشركينَ لمّا بلَغَهُمْ ذلكَ أسرَعُوا حتّى لحِقوا بمكّةَ ، خوفاً من تجميعِ الجموعِ لهمْ .

حوادث

وفيها : تزوّجَ عثمانُ بنُ عفّانَ أمَّ كلثوم بنتَ الرّسولِ ، بعدَ موتِ أختِها رقيّةَ . ولذلكَ يُسمّى ذا النّورَيْنِ .

وفيها : تزوّجَ عليهِ السّلامُ حفصةَ بنتَ عمرَ بنِ الخطّابِ وزينبَ بنتَ خزيمةَ .

وفيها : وُلِدَ الحسنُ بنُ عليٍّ (رضيَ اللهُ عنهما) .

تحريم الخمر

وفي هذهِ السّنةِ حرّمَ اللهُ الخمرَ تحريماً باتّاً لما فيها منَ الأضرارِ

(١) حمراء الاسد : موضع على ثمانية اميال من المدينة المنورة .

الظَّاهِرَةِ في الْعَقْلِ والمَالِ والجِسْمِ. ولاَ يُنْكِرُ ذلِكَ إلاَّ مُكابِرٌ؛ حَتى إنَّ كلَّ الأَطِبّاءِ والعلماءِ في الشَّرْقِ والْغَرْبِ قامُوا على قَدَمِ الجِدِّ وساقِ الاجتِهادِ، يحارِبُونَ المُسكِرَاتِ حرباً شَدِيدَةً ويجاهِدُونَ فيمَنْ يَميلُ إلى تعاطِيها جِهاداً أَدَبِيّاً عظِيماً، لِتَحقُّقِهِمْ مَضَرَّاتِها الجَمَّةَ ومفاسِدَها الْكَثِيرَةَ. ومَنْ طالَعَ تارِيخَ الْعَرَبِ الّذِينَ كانَ أَكْثَرُهُمْ مُدمِناً على شُرْبِها وجدَ أنَّ فيهم أفراداً حرَّموها على أنفُسِهِمْ ابتِعاداً منْ غوائِلِها.

وكانتْ الخمْرَةُ غيرَ مُحرَّمَةٍ في أوّلِ الإسْلامِ، ثمَّ حُرِّمَتْ تَدْرِيجاً. ولمْ تُحرَّمْ أَلْبَتَّةَ دُفعةً واحِدَةً لِصُعوبةِ ذلكَ على الْقومِ لِحبِّهِمْ أيّاها وأُلْفَتِهِمْ لها. حُرِّمَتْ بادِيءَ بَدْءٍ في الصَّلاةِ، لمَّا شَرِبَها بعضُ المُسْلمينَ وخلَطَ في الْقِراءَةِ، قال الله تعالى: «ولاَ تَقْرَبُوا الصَّلاَةَ وأنتمْ سُكارَى حتّى تَعْلَموا ما تَقولونَ»؛ ثمَّ حُرِّمَتْ قَطعِيّاً، لمَّا اعتدَى بَعضُ المُسْلمينَ على إخوانِهِم بقولِهِ عزَّ وجلَّ: «إنَّما الخمْرُ والمَيْسِرُ والأَنْصابُ والأَزْلامُ رِجْسٌ[1] منْ عملِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبوهُ».

أمَّا الرَّسولُ وطائفَةٌ منْ أَصحابِهِ فلمْ يَذُوقوها مَدَى حَياتِهِمْ قَطُّ.

«١» الميسر: القمار. والانصاب: الاصنام تنصب للعبادة. والازلام: قداح القمار وأدواته. رجس: نجس.

السنة الرابعة للهجرة

غزوة بني النضير

فيها غزوَة بني النَّضير : وهيَ قَبيلَةٌ كَبيرةٌ من يَهودِ المدينَةِ كانَ بَينهم وبينَ المسلمينَ عهدٌ يأمَنُ بهِ كلٌّ منهم كَيدَ الآخرِ. وقدِ اتّفقَ أنّ الرّسولَ كانَ معَ نفرٍ من أصحابِهِ في دِيارِهم ، فزيّنَ لهمُ الشّيطانُ أنْ يَقتلوا الرّسولَ ، فخرجَ من عِندِهم وتبِعَهُ أصحابُهُ ثمّ أرسَلَ إليهم يأمُرُهم بالجلاء[1] عنِ البلادِ. فأطاعوا ، ثمّ امتنعُوا ، فحاصرَهمُ المسلمونَ حتى أجبَروهم على الرّحيلِ ، فرحَلوا وحملُوا أموالَهمْ ونِساءَهم وأولادَهم ، إلاّ آلةَ الحربِ وما لا يَستطِيعون حملَهُ على الإبلِ .

غزوة ذات الرقاع[2]

وفيها غزوة ذاتِ الرِّقاع . خرَجَ ومعهُ سبعُ مِئَةِ مُقاتِلٍ ، يُريدُ قبائلَ من نجدٍ ، وهمْ بنُو مُحاربٍ وبنو ثَعلبةَ ، لِأنّهم تَهيّئوا لحربِ المسلمين . فلمّا علمُوا بخروجِهِ هربوا وتركُوا نِساءَهم .

---

(١) الجلاء : الخروج «٢» سميت بذات الرقاع لانهم رقعوا فيها راياتهم . وفي البخاري ما يدل على انها سميت بذلك لانهم لفوا على ارجلهم فيها الخرق .

ثمَّ اجتمعَ منهم جَمْعٌ لِقتالِ الرَّسولِ ، فَقَذَفَ اللهُ في قلوبهم الرُّعبَ . ولمْ تكنْ حربٌ .

وفي هذهِ الغَزْوةِ نَزَلَ جِبْريلُ (عليهِ السَّلامُ) بِصَلاةِ الخَوْفِ .
وفيها أيضاً نَزَلَتْ رُخْصَةُ التَّيمُّمِ .

غزوة بدر الآخرة

وفيها غزوة بدر الآخرة : خَرَجَ إلَيها ومعَه ألفٌ وخمسُ مِئَةِ رَجُلٍ لِميعادِ أبي سُفْيان[1] . ولم يكنْ قِتالٌ لأنَّ أبا سُفيان أخلفَ الوَعدَ . وكانَ قدْ أرسَلَ إلى المدينة رَجُلاً ليُخوِّفَ المسلمينَ منْهُ وممَّا جمَعَهُ لهم منَ الجُموعِ ، فلم يَزِدْهم ذَلِكَ إلاَّ إيماناً وثَباتاً . وقدْ ظَنَّ أنَّ عمَلَهُ هذاً يُثَبِّطُ[2] المسلمينَ عَنِ الخُروجِ ، فلا يكونُ هوَ المُخلِفَ للوعدِ .

حوادث

وفيها : تُوُفِّيَتْ زَيْنبُ بِنْتُ خُزَيمةَ زَوجُ الرَّسول .
وفيها : وُلِدَ الحُسينُ بنُ عليٍّ رَضيَ اللهُ عنهما .

---

(١) كان ابوسفيان قال لهم يوم أحد قبل انصرافه : موعدكم بدر ، العام المقبل ، فاجابه المسلمون الى ذلك ، وخرجوا هذه السنة ايفاء بالوعد (٢) اي يشغلهم عنه ويمنعهم منه

وفيها : تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً .

وفيها : أمر الرسول زيد بن ثابت أن يتعلم كتابة اليهود ، ليكتب له إليهم ، ويقرأ له ما يكتبونه إليه .

السنة الخامسة للهجرة

غزوة دومة الجندل[1]

فيها غزوة دومة الجندل : خرج إليها الرسول بألف رجل ، يريد جمعاً من الأعراب يظلمون من مر بهم ؛ وقد عزموا على غزو المدينة . فلما دنا منهم هربوا ، وتركوا ماشيتهم ؛ فاستاقها المسلمون ، ورجعوا سالمين غانمين .

غزوة بني المصطلق[2]

وفيها غزوة بني المصطلق ، وتسمى المريسيع[3] أيضاً .

خرج إليهم الرسول لتجييشهم الجيوش لحرب المسلمين . وهم

---

(١) هي مدينة بينها وبين دمشق خمس ليال ، وتبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة .

(٢) المصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو ، سمي به لحسن صوته ، وكان أول من غنى من خزاعة (٣) المريسيع : هو ماء لبني خزاعة .

مِمنْ ساعدوا قُرَيشاً يومَ أُحدٍ . ولمَّا علِمُوا بخروج الرسول خافوا خوفاً شديداً ؛ وتفرّقَ عنهم من كان معَهُم من العَربِ . فلمَّا بلَغَ المسلمُونَ المُرَيسِيعَ تصافَّ الفريقانِ للقتالِ فترَامَوْا بالنِّبالِ ساعةً . ثم حمَلَ المسلمون عَليهم حملةَ رَجلٍ واحدٍ ، فأصابوهم ، وَسَبَوْا النِّسَاءَ والرِّجَالَ والذُّرِّيَّةَ والأموالَ ؛ وقتلوا منهم عَشرةً. ولم يُقتَلْ منَ المسلمين إلاَّ واحدٌ ؛ وأَسَرُوا سائِرَهُمْ .

وكان في الأَسرى من نِساء الأعداء بَرَّةُ بنتُ الحارثِ سَيِّدِ القومِ ، فتزوَّجها الرسولُ ؛ وَسمَّاها جُوَيْرِيَةَ . وكان من قومِها مِئتا أسيرٍ وُزّعوا على المسلمين . فلمَّا تزوَّجها النَّبيُّ قال المسلمونَ: « أصهارُ رسولِ اللهِ لا ينبغي أَسرُهُمْ في أيدينا » ؛ فَمَنُّوا عليهم بالعتقِ . وإنَّ فيما فعلهُ الرَّسولُ من زواجِهِ ببنتِ الحارثِ من حسْنِ السِّياسَةِ ومُنتَهى الكرَمِ ما لا يُدرِكُهُ إلاَّ رَسُولُ اللهِ . وكان هذا الكَرَمُ العظيمُ سبباً في إسلام بني المُصطَلقِ جميعاً ، وصاروا أعواناً للمسلمين بعد أن كانوا أعداءهم .

غزوة الخندق

وفيها غزوة الخندق ، وهيَ الأحزاب . اجتمَعَ طوائفُ من مُشركي قُرَيشٍ وغيرِهم منَ العَرَب ، وَبنُو النَّضير منَ اليهود

لحزب المسلمين ، وعددهم عشرة آلاف رجل . ويرئس[1] الجمع أبو سفيان ، لأنه كان قائدهم العام . أما المسلمون فلم يخرجوا من المدينة ، بل حفر الرسول خندقاً[2] عملاً بإشارة سلمان الفارسي ، حذراً من هجوم الأعداء عليها . وأما المشركون واليهود فحاصروا المدينة وضيقوا عليها تضييقاً شديداً . واستمر الحصار خمسة عشر يوماً .

وفي ذلك الوقت نقض بنو قريظة اليهود العهود ، وجاهروا المسلمين بالعداوة . وكذلك المنافقون ، أبرزوا ما تكنه صدورهم من النفاق فاشتد عند ذلك البلاء وعظم الخوف على المسلمين ؛ لأن العدو أتاهم من فوقهم ومن أسفل منهم ؛ حتى زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر ، وظن المسلمون بالله الظنون . فأرسل الرسول عند ذلك خمس مئة مقاتل لحراسة المدينة ، خوفاً على النساء والذراري .

ولم يزالوا على هذه الحال إلى أن هرب الأحزاب المحاصرون

---

(١) رأس يرئس من الباب الثاني كضرب يضرب

(٢) حفر من الحرة الشرقية الى الحرة الغربية وهي الجهة التي كنت تؤتى المدينة من قبلها

من خَوفِ أصابهم [١] وأراحَ اللهُ المسلمين من هذه النِّقْمَةِ .

وفي هذهِ الغزوةِ قَتَلَ عليُّ بنَ أبي طالبٍ عَمروبنَ وُدٍّ العامريَّ.

وقدْ أقامَ المسلمونَ في الخَندَقِ خمسةَ عشرَيوْماً .

غزوة بني قريظة

وفي هذه السنة : غزوة بني قُرَيْظة من يهود المدينة : خرجَ إليهمُ الرسولُ لِنَقْضِهِمُ العَهْدَ وإظهارِهِمُ العداوةَ يومَ الاحزاب ؛ ومعَهُ ثلاثةُ آلافٍ فحاصرهُمْ ،ثمَّ طلبُوا أنْ يَمْنحَهمْ ما مَنحَ بني النَّضيرِ فأَبى. ثمَّ نزلوا على أنْ يَحكُمَ فيهمْ سَعْدُ بْنُ مُعاذٍ. فحَكَمَ فيهمْ بأنْ تُقتَلَ الرِّجالُ ، وتُقَسَّمَ الاموالُ ، وتُسْبَى الذُّرِّيَّةُ والنِّساءُ . فَحُفِرَ لهمْ أُخدودٌ [٢] في سوقِ المدينَةِ ؛ وضُرِبَتْ أعناقُهمْ ؛ وكانوا مابينَ سِتِّ مِئَةٍ الى سَبْعِ مِئَةٍ .

---

(١) وذلك ان الله سلط على الاعداء ريحا شديدة ليلا وجنودا لم يروها ، فهبت ريح الصبا فقلعت الاوتاد ، والقت عليهم الابنية ، وكفأت القدور ، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصى ، فهربوا من ليلتهم . وفي البخاري : دعا رسول الله على الاحزاب فقال : « اللهم منزل الكتاب ، سريع الحساب ، اهزم الاحزاب ، اللهم اهزمهم وزلزلهم » .

(٢) الاخدود هو شق مستطيل في الارض

ابطال عادة التبني

وفيها تزوج الرسول زينب بنت جحش ابنة عمته ، بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة ، الذي كان الرسول قد تبناه [1] .

وقد أمره الله أن يتزوجها إبطالاً لعادة التبني السيئة ؛ لأن العرب كانت تعتبر المتخذ ابناً كابن حقيقي يرث ويورث ، إلى غير ذلك من أحكام البنوة ؛ فأراد الله أن يبطل هذه العادة السيئة ؛ فأمر رسوله أن يزوج زيداً بزينب بنت جحش ؛ فزوجها منه . فلما دخل عليها وجد من كبريائها وعظمتها ما لم يقدر على تحمله . فشكاها إلى الرسول ، فأمره باحتمال الصبر فصبر ؛ إلى أن ضاقت نفسه ؛ فأخبره بالعزم على طلاقها . ولما كانت المعاشرة بين مثل هذين الزوجين لا تأتي بغير النفور ، أمر الله الرسول بأن يتزوج زينب بعد طلاقها ، دفعاً للنزاع والشقاق ، وإبطالاً لعادة التبني ؛ لأن العرب كانوا يحرمون مثل هذا الزواج ، لاعتبارهم إياه نكاح الأب لمطلقة ابنه . فخشي الرسول أن يعيره العرب ، فيقولوا : تزوج محمد مطلقة

(١) أي اتخذه ابناً . وكان زيد قبل ذلك مولى ، اي قيقاً .

أبنِهِ . فكانَ يُخفي في نَفسِهِ هذا الأمرَ ، وهُوَ يَعلمُ أنّه لابدّ حاصِلٌ ، لإبطَالِ هذِهِ العادَةِ القبيحَةِ . وقدْ كانَ الأمرُ كذلِكَ بعدَ زِواجِ النّبيّ بزَينَبَ ؛ فقَدْصارَ زَيدٌ يُدعَى زَيدَ بنَ حارِثةَ ، بعدَ أنْ كان يُدعَى زَيدَبنَ محمَّدٍ ، وأنزَلَ اللهُ في ذلكَ : « ما كانَ محمَّدٌ أبا أحدٍ منْ رِجالِكُمْ ؛ ولكِنْ رَسُولَ اللهِ وخاتَمَ النَّبيّينَ ؛ وكانَ اللهُ بِكلّ أمرٍ عليما »

وأمّا ما يَرْوِيهِ في هذا المَقامِ بَعضُ مَنْ لا خَلاقَ لهم مِنْ أنّ الرّسُولَ رأى زَينَب اتّفاقاً فوقَعتْ في قلبِهِ . فلَمّا عَلِمَ زَيدٌ بذلك أستشَارَ الرّسولَ في طلاقِهــا رغبَةً في أنْ يتزوَّجها الرّسولُ ، فهوَ منَ الأقوالِ السّاقِطَةِ الّتي لا يَرْويها إلاّ مَنْ فَقدَ رُشدَهُ وأضاعَ عقلَهُ . ونَعُوذُ باللهِ منْ ذلك . وقدْ أبطَلَ هذا الزّعمَ أدِلّةُ العَقلِ والنَّقلِ ، ومَنْ أرادَ الزّيادَةَ فليَرجِعْ إلى كِتاب الشّفاء للقاضي عِياضٍ ، أوْ إلى رِسالَةٍ كتبها في هذا الموضوعِ شيخُنا الأستاذُ الإمــامُ المرْحومُ الشيخُ محمَّدٌ عَبدُهُ مُفتي الديارِ المصرية[1] . على أنّ كلمةً واحِدَةً تكْفي لرَدّ هذا الزّعمِ ، وهوَ أنّ النِّساءَ لمْ تكُنْ مَحجُوبةً في زمنِ الرّسولِ ؛ فكأنّهُ لم يرَها قبلَ ذلكَ اليوم ، أوْ كأنّهُ لم يستَطِعْ أنْ يَتزوّجها قبلَ أنْ

(٢) وهذه الرسالة مطبوعة على حدة مع تفسير الفاتحة للاستاذ الامام

يُزَوِّجها مِنْ مَوْلَاهُ[1] زيدِ بنِ حارثةَ ! إنَّ هذا الشيءُ عُجاب !!!

آية الحجاب

وفي هٰذهِ السَّنةِ ضُرِبَ الحِجابُ على نساء النَّبيِّ (صلَّى الله عليه وسلم)؛ ونزلت آيتُهُ؛ وهيَ قولُهُ تعالى : « واذا سألتُموهُنَّ مَتاعاً فاسألوهُنَّ مِن وَراءِ حجاب؛ ذلك أطهرُ لِقُلوبِكُمْ وقُلوبِهِنَّ »

واعلَمْ أنَّ الحِجابَ ثلاثةُ حُجُبٍ :

حجابٌ يُرادُ بِهِ أنْ لا يكونَ بين النِّساءِ والرجالِ اختلاطٌ إلا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ؛ وهُوَ المُرادُ من هٰذهِ الآيةِ. وقد قالَ النبيُّ (صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ) : «لا يَخلُوَنَّ رَجُلٌ بامْرأةٍ إلاَّ مَعَ ذِي مَحْرَمٍ» رَواهُ البُخاريُّ. وهذا عامٌّ لنساء النبيِّ وغيرِهِنَّ. ولم يُخالِفْ في ذلكَ أحدٌ من المسلمين.

وحجابٌ يُرادُ بِهِ سَتْرُ المَرْأةِ جميعَ بَدَنها إلاَّ الوجهَ والكَفَّيْنِ؛ وزاد بعضُ العُلَماءِ المُتَقَدِّمينِ للفقيراتِ اللَّواتي تَدْعُوهُنَّ الضَّرُورةُ

---

(١) المولى العبد والرقيق . ويكون أيضاً في غير هذا الموضع بمعنى ابن العم وبمعنى السيد . قال الشاعر :

وهل يتساوى سادة وعبيدهم   على أن أسماء الجميع موالي

للعَمَل في المَزارع وغيرِها . وهو المراد بقوله تعالى : « يأَيُّها النبيُّ ، قُلْ لِأَزْواجِكَ وبَناتِكَ ونِساءِ المُؤْمنينَ : يُدْنِينَ عَلَيهنَّ من جلابِيبِهِنَّ[1] » (الأحزاب : ٥٩) ؛ وقولِهِ : « ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ[2] الاَّ مـاظَهَرَ[3] منها . ولْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ[4] على جُيُوبِهِنَّ[5] » (النور : ٣١)

وحِجابٌ يُرادُ بـه أنْ تَسْتُرَ المرأةُ جميعَ بَدَنِها ، حتّى وجْهَهَا وكَفَّيْها . وهـذا خاصٌّ بنساء النبي (صلّى اللهُ عليه وسلَّمَ) . ولم يُخالِف في ذلك احـدٌ منَ المسلِمين مِمَّنْ يُعتَدُّ بقولِهِ ؛ لان

---

(١) يدنين : يرخين عليهن بعض الجلباب سترا لاعضائهن التي لا يسترها الخمار ولثيابهن التي لا يليق بهن ان يظهرن بها في الطريق او امام غير ذي محرم . والجلباب : ثوب واسع سابغ تلبسه المرأة فوق ثيابها . وفي تفسير الجلالين انه الملاءة التي تشتمل بها المراة . وكذا في المخصص لابن سيده .

(٢) لا يبدين : لا يظهرن عمدا . فذلك محرم لا يليق بذات الدين والشرف والخلق الطيب .

(٣) اي الا ماظهر منها ظهورا غير مقصود ، بان ظهر بنفسه اتفاقا . والزينة عامة في كل ما يقصد به التجمل : من تحسين وجه او قلادة او سوار او قرط او ثوب او نحوها ، فكل ذلك محرم اظهاره . فان ظهر منه شيء من غير قصد الى اظهاره بحيث انكشف ما يستره بريح او حركة غير مقصودة فذلك لا يؤاخذن عليه . فان تنبهن له سترنه . فذلك قوله تعالى : « الا ما ظهر منها »

(٤) الخمر : جمع خمار ، وهو ما تختمر به المرأة

(٥) الجيوب : جمع جيب ، وهو طوق القميص حيث يدخل منه الرأس . وقد كانت هذه الجيوب اي الاطواق واسعة تبدو منها نحورهن وشيء من صدورهن وما حواليها ، وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى هذه المواضع مكشوفة . فأمرهن الله بضرب الخمار عليها ليغطينها .

الدلائلَ على ذلك مُتضافِرَةٌ . وقد كانت نساء النبيّ بعد أنْ ضُرِبَ الحجابُ عليهنَّ ؛ إنْ خرجْنَ لا يخرُجنَ الاّ ساتراتٍ كلَّ شيءٍ ، حتى الوجهَ والكفَّين .

ثمّ رأى جمهورُ عُلَماء الأُمّةِ ، بعدَ ذلكَ ، أنْ يَعمَّ هذا الشَّكلُ من الحجاب غيرَهُنَّ ايضاً ، عندَ ما رَأَوْا الحاجةَ ماسّةً الى ذلك . ولكنّهم لم يُوجِبُوهُ مُطلَقاً ، بلْ حيثُ تَدعو اليه الضرورة : كالمُدُنِ التي فَسَدَتْ فيها الاخلاقُ . فلم تُؤمَنْ فيها الفِتْنَةُ . ولم نَرَ منهم مَنْ نَعَى على نساء البوادي والقُرَى كَشفَ وُجوهِنَّ وأَيديهِنَّ وأقدامِهِنَّ .

فريضة الحج

وفيها : فُرِضَ الحجُّ على مَنِ استطاعَ إليهِ سَبيلاً .

وإنَّ في الحجِّ مِنَ الحِكَم ما لا يَدريهِ إلاّ ذو بَصيرَةٍ . ويكفي من ذلك اجتماعُ المسلمين على اختلافِ الأجناسِ واللُّغاتِ والبِلادِ في مَحلٍّ واحدٍ ، ليُجدِّدُوا عهودَ الإخاء والولاء ، وَيدعُوا اللهَ عزَّ وجلَّ أنْ يُؤيّدهم بنَصرِهِ ، ويُمكِّنَ قواعدَ الأُلفةِ بينهم ، ولا يَخفى ما في ذلكَ مِنَ الفوائدِ السياسيَّةِ والدينيَّةِ الجليلةِ ، التي تَعودُ على الأُمّةِ بالخيرِ العَميمِ ، إنْ فهِمَ السِّرُّ من هذا الاجتماع العظيم .

السنة السادسة للهجرة

غزوة بني لحيان

فيها : غزوة بني لَحيانَ ، الذينَ قَتلوا عاصِمَ بْنَ ثابتٍ وإخوانَهُ غَدْراً [١] خرجَ الرّسولُ إليهمْ بمئتَيْ راكِبٍ . فلَمْ يلقَ أحداً .

غزوة الغابة

وفيها : غزوة الغابة — خرجَ إليها الرّسولُ في خَمْس مِئةِ رَجلٍ في طَلبِ عُيَيْنَةَ بْنِ حِصْنٍ وأَرْبَعينَ فارساً معَهُ ، لأنهمْ أغارُوا على لِقاحِ [٢] الرّسولِ وسلَبُوهاَ ، وقَتلوا ابْنَ أبي ذَرٍّ . فكانَ بيْنَ الفَريقَيْنِ مُناوَشاتٌ قُتِلَ فيها مُسلمٌ ومُشْرِكانِ . واستَنْقَذُوا

---

(١) كان الرسول قد ارسل عشرة رجال برئاسة عاصم المذكور مع رهط من عضل والقارة ليفقهوهم وقومهم في الدين . فغدروا بهم ، وحرضوا عليهم بني هذيل ، فقتلوا منهم ثمانية ، وباعوا الاثنين لاهل مكة فقتلوهما ايضاً

(٢) اللقاح جمع لقحة وهي النياق ذوات اللبن القريبة العهد بالولادة

عَشرَ لِقاحٍ . ثمّ رَجعُوا .

وكانَ الرّسُولُ قَدْ منّ على عُيَيْنةَ هذا وأعطاهُ أرْضاً لِيرْعى فيهَا بَهْمَهُ (١) ؛ فكَفرَ النِّعمةَ . ثمّ إنّهُ لم يَكفِهِ أنْ كانَ معَ الأحزابِ يومَ الخَندَقِ ؛ بل زادَ على ذلكَ سَلبَهُ لِقاحَ الرّسولِ .

غزوة الحديبية (٢)

وفيها : غزوة الحُدَيْبيَةِ — خرَجَ الرّسولُ مُعتمِراً في ألفٍ وأربعِ مِئَةِ رَجلٍ بلا سِلاحٍ إلاّ سِلاحَ المُسافِرِ ، وهيَ السُّيوفُ في الأغمادِ . فلمَّا عَلِمَتْ قُرَيشٌ جمَّعَتِ الجُموعَ لِتَصدّهُ عنِ البيتِ الحرام .

فلمَّا كانَ الرّسولُ وأصحابهُ بغَديرِ الأَشطاطِ بَلَغَهُ ذلكَ ؛ فقالَ «أشِيروا أيُّها النّاسُ عليَّ : أتَرَوْنَ أنْ أمِيلَ إلى عيالِهِمْ وذَرارِيِّ هؤُلاءِ الذينَ يُرِيدُونَ أنْ يَصُدُّونا عنِ البيتِ ؟» فقال أبو بَكْر : «يارَسولَ اللهِ ، خرَجْتَ عامِداً لهذا البيتِ لا تُريدُ قَتْلَ أحدٍ ولا حرْبَ أحدٍ ؛ فتوجَّهْ لهُ ، فمَنْ صدّنا عنْهُ قاتَلْناهُ» ؛

---

(١) البهم بفتح اوله وبالتحريك : اولاد الغنم والمعزو البقر (٢) الحديبية : بئر على مرحلة من مكة . كما في البخاري وشرحه .

قالَ : « أمضُوا على اسمِ اللهِ » .

فلما كانوا بِثَنِيَّةِ المُرَارِ بَرَكَتْ ناقة الرسولِ ، فزجرُوها فَلَمْ تَبْرَحْ فقالوا: «خَلأَتِ القَصْوَاءُ (١)» أيْ حرَنَتْ، فقال الرَّسولُ: « ما خَلأَتِ القَصْوَاءُ ، وما ذاكَ لها بِخُلُقٍ ، ولكنْ حَبَسَها حابِسُ الفِيلِ ، والذي نفسي بِيدِهِ لا يَسألُونني خُطَّةً يُعَظِّمونَ فيها حُرُماتِ اللهِ إلاَّ أعطيتُهُمْ إياها » . ثُمَّ زَجرَها فوثَبَتْ ، فعدلَ عنهمْ حتى نَزَلَ بأقصى الحُدَيْبِيَةِ .

ثُمَّ حصَلَ الصُّلحُ بينَ الفَرِيقَيْنِ ، وهوَ الصُّلحُ المَعْرُوفُ بِصُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ . ولمْ تكُنْ حَرْبٌ . مَعَ أنَّ المسلمينَ لَوْ قاوَمُوا أعداءَهُمْ في ذلِكَ الوقتِ لظَفِرُوا بِهِمْ ؛ ولكِنَّهمْ حافظُوا على حُرُماتِ البيْتِ الذي جعلَهُ اللهُ حَرَماً آمِناً .

وكانَ الصُّلحُ (١) على أنْ تُوضَعَ الحربُ بينهم عشرَ سنواتٍ ، وقيلَ أربعاً (٢) وأنْ يأمنَ بعضُهم بعضاً (٣) وأنْ يَرْجِعَ عنهم عامَهم هذا (٤) وعلى أنَّهُ لا يأتيهِ منهم رَجُلٌ ، وإنْ كانَ على دِينِ الإسلامِ ، إلاَّ ردَّهُ إليهمْ ، وأنْ لا يَرُدُّوا إليهِ مَنْ جاءَهمْ مِنْ عندِهِ (٥) ومنْ أرادَ أنْ يدخلَ في عهدِ محمدٍ من غيرِ قُرَيْشٍ دَخَلَ

---

(١) اسم ناقة الرسول . والقصواء في الأصل من الشاء والنوق : التي قطع طرف أذنها .

فيه ، ومن أراد الدخول في عهد قريش دخل فيه .

بيعة الرضوان

وفي هذه الغزاة حصلت بيعة الرضوان ، وذلك أن الرسول كتب صلح الحديبية في كتاب ، وأرسله إليهم مع عثمان بن عفان جماعة من المسلمين . فأمسك المشركون عثمان عندهم فشاع أنه قتل . فدعا الرسول الناس إلى البيعة تحت الشجرة على الموت ، وقيل على أن لا يفروا ، وهي الشجرة المعروفة بشجرة الرضوان [١] . فلما علم قريش بذلك خافوا وبعثوا بعثمان ورفقائه .

وفي هذه البيعة نزل قوله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم » وقوله تعالى : « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة »

وفي هذه الغزوة نزلت سورة الفتح وهو قوله تعالى : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً » السورة ، فتسلى المسلمون بذلك ،

(١) وقطع هذه الشجرة بعد ذلك عمر بن الخطاب في أيام خلافته لما رأى بعض المسلمين قد حضر إليها [illegible] وقال لهم : أراكم قد رجعتم إلى وثنيتكم الأولى . وقد أحسن بذلك لأنه قطع أمر الوثنية . ولو كان في أيامنا ورأى كثيراً من أمثالها فماذا كان يفعل .

بعدَ أنْ ضايَقتهم شروطُ الحُدَيبِيَة الجائرةُ ، وعلموا أنّها مقدّمةٌ لِفتحِ مكةَ ، وأنهم لابُدّ أنْ يدخُلوها آمِنينَ مُحلّقينَ رؤوسَهم ومُقصّرِينَ لا يَخافون . قال ابن عباس : الفتح هنا فتحُ الحُدَيبِيَة ووُقوعُ الصُّلحِ .

مراسلته للملوك

وفي هذهِ السنةِ ، بعدَ رُجوعِ المسلمينَ من الحُدَيبِيَةِ ، راسَلَ عليه السَّلامُ الملوكَ يَدعوهمْ إلى الإسلامِ ، واتخذ خاتَماً منْ فِضَّةٍ فيهِ « محمدٌ رسولُ اللهِ »

فمِنها كتابٌ إلى قيصرَ مَلِكِ الرُّومِ ؛ وكِتابٌ إلَى أميرِ بُصرَى ؛ وكِتابٌ إلى أميرِ دِمَشْقَ من قِبَلِ هِرَقْلَ ، واسْمُهُ الحارِثُ بنُ أَبِي شَمَّرَ الغَسَّانيُّ ؛ وكانَ يُقيمُ بِغُوطَتِها ؛ وكِتابٌ إلى المُقوقِس أميرِ مصرَ من قِبَلِ قَيصرَ ، وكتابٌ إلى النَّجاشِي[1] ؛ وكِتابٌ إلى كِسرَى مَلِكِ الفُرْسِ . فلمَّا أخذَهُ هذا مزَّقَهُ استِكبَاراً ، وكتابٌ إلى المُنذرِ بنِ ساوَى مَلِكِ البَحرَيْنِ ، فأسلمَ ، وكِتابٌ إلَى جَيفَرَ وعَبدِ ابنَي الجَلَندَى مَلِكَي عُمانَ ، فأسلَما ؛

(١) النجاشي لقب لمن يملك الحبشة كقيصر لمن يملك الروم وخاقان لمن يملك الترك . ويجوز ان تشدد ياء النجاشي ، وتخفيفها افصح .

وكتابٌ إلى هُوذَةَ بنِ علىٍّ مَلِكِ اليَمامةِ .

أمَّا كِتَابه إلى قَيْصَرَ فقد جاءَ فيه قولهُ :

« بسم الله الرحمن الرحيم : من محمدِ بنِ عبدِ اللهِ إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّوم : سلامٌ على مَن اتَّبعَ الهُدَى . أمَّا بعدُ فإنِّي أدعوكَ بدِعايةِ الإسلامِ ، أسلِمْ تَسلَمْ يُؤْتِكَ اللهُ أجرَكَ مرَّتينِ[1] فإنْ تَوَلَّيتَ فإنَّما عليكَ إثمُ الأريسيِّينَ[2] . ويا أهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيننا وبينَكم : ألَّا نَعبُدَ إلَّا اللهَ ، ولا نُشرِكَ بهِ شيئاً ، ولا يَتَّخِذَ بعضُنا بعضاً أرباباً من دُونِ اللهِ ، فإنْ تَوَلَّوْا فقولوا اشهدوا بأنَّا مُسلِمونَ »

فلمَّا وَصلَ الكتاب إلى قَيْصَرَ قال : « انظروا لنا من قومِهِ أحداً نَسألُهُ عنهُ . وكانَ أبو سفيانَ بنُ حَربٍ (قبلَ إسلامِهِ) بالشامِ مَعَ رجالٍ منَ المشركينَ في تِجارةٍ ، فجاءوا بهِ وبأصحابهِ ، فسألهُ قيصرُ عن النبيِّ وعنْ أوصافٍ هيَ فيهِ مِنْ صِفاتِ النُّبُوَّةِ ، فأجابَهُ بأنّهُ متَّصِفٌ بها كلِّها ، فقالَ له قيصرُ :

« فإنْ كانَ ما تقولُ حقًّا فسيَملِكُ موضِعَ قدَميَّ هاتينِ ، وقدْ كنتُ أعلمُ أنهُ خارجٌ ، ولكنْ لمْ أكنْ أظنُّ أنه مِنكم ،

(١) مرة لإيمانه بالنصرانية وكتابها ومرة لإيمانه بالإسلام وكتابه .
(٢) الاريسيون : جمع اريسي وهو الفلاح ، أي ان توليت عما ادعوك اليه فعليك ذنب اتباعك من الفلاحين لانهم مطيعون لك فيما تأمرهم به .

ولو أعلمُ أنّي أخلُصُ إليهِ لتجشّمتُ لقاءَهُ، ولو كنتُ عندَهُ لغسلتُ عن قدمِهِ»

السنة السابعة للهجرة

غزوة خيبر

فيها غزوة خيبرَ: [وهيَ مدينةٌ ذاتُ حصونٍ ومزارعَ تبعدُ ثمانيةَ بُردٍ[1] عن المدينةِ إلى جهةِ الشامِ، وكانتْ حصونُها ثلاثةً منفصلًا بعضُها عن الآخرِ. وسكانُها بنو النضيرِ منَ الذينَ كانوا أعظمَ مهيّجٍ للأحزابِ يومَ الخندقِ]. خرجَ الرسولُ في محرّمٍ هذهِ السنةِ، ومعَهُ ألفٌ وستُّ مئةِ رجلٍ. فسارَ حتى أتى خيبرَ ليلًا؛ وكانَ إذا جاءَ قومًا بليلٍ لم يغزُهم حتى يُصبحَ. ثم حاصرَهمُ المسلمونَ ستةَ أيامٍ فلمْ ينجحُوا.

فلما كانتِ الليلةُ السابعةُ وهيَ ليلةُ الفتحِ قالَ الرسولُ: لأُعطينَّ الرايةَ غدًا رجلًا يحبُّه اللهُ ورسولُه يفتحُ اللهُ على يديهِ. فلما كانَ الصباحُ أعطاها عليَّ بنَ أبي طالبٍ (رضيَ اللهُ عنه)،

(1) البرد جمع بريد. والبريد اثنا عشر ميلا. والميل من الارض منتهى مد البصر.

وكانَ يشتكي وجعَ عينيهِ ، فتفلَ الرسولُ فيهما ودعا لهُ فبرئَ بإذنِ اللهِ .

فتوجَّهَ عليٌّ معَ المسلمينَ للقتالِ ، وشدَّدَ الحصارَ على الحصونِ إلى أنْ فتحَها اللهُ على يدِهِ ، بعدَ أنْ دافعَ عنها أصحابُها دفاعاً شديداً أحسُّوا معهُ الموتَ ، وغنِمَ المسلمونَ منها غنائمَ عظيمةً .

ومما يُنقَلُ أنَّ عليًّا (رضيَ اللهُ عنه) عالجَ بابَ خيبرَ واقتلعَهُ وجعلَهُ ترساً .

حوادث

وفي هذهِ السنةِ ، بعدَ خيبرَ ، رجعَ مهاجرُوا الحبشةِ ومعَهمُ الأشعريِّينَ أبو موسى وقومُهُ الذينَ كانوا معَهم ؛ وذلكَ بعدَ أنْ أقاموا عشرَ سنينَ .

وفيها : فتحُ فدكَ (١) . وصالحَهُ أهلُها (كانُوا يهوداً على أنْ يتركُوا الأموالَ ويحقنوا (٢) دماءَهمْ .

وفيها : صالحَ أهلَ تيماءَ (٣) على دفعِ الجزيةِ ، وكانوا منَ اليهودِ

(١) فدك حصن قريب من خيبر بعد ست ليال عن المدينة (٢) يحقن دماءهم أي يمنعها أن تسفك ، أي لا يقتلهم (٣) هي قرية على ثمان مراحل من المدينة

غزوة وادي القرى[1]

وفيها غَزوة وادِي القُرَى: دَعاَ الرَسولُ أهلَها إلى الأستِسلامِ فأَبَوْا، وقاتَلوا المسلمينَ فقاتَلوهمْ، وغَنِموا منهم كثيراً.

وَبانقِيادِ اليهودِ المجَاورِينَ للمدينَةِ أمِنَ المسلمونَ منِ أعداءٍ كانوا يُثِيرُونَ الحقودَ وَيَهيجُونَ الشُّرورَ لِيُضرِمُوا نِيرانَ الحُروب

عمرة القضاء

وفيها: عُمرَةُ القَضاَء — وذلكَ أنّهُ لَمّا أهلَّ ذو القَعدَةِ أمَرَ الرّسولُ أصحابَهُ أنْ يَعتَمِروا قَضاءً لِعُمرَتِهم[2] الّتي صدَّهُمُ المشرِكونَ عنها يَومَ الحُدَيبِيَةِ، وأنْ لاَ يَتخَلَّفَ أحدٌ ممّنْ شَهِدَ الحُدَيبِيَةَ، فلَمْ يَتخلَّفْ أحدٌ إلاّ رِجالٌ أستُشهِدوا بخَيبَرَ ورِجالٌ ماتُوا.

ثمَّ سارَ المسلِمونَ حتّى وصَلوا إلى مَرِّ الظَّهرانِ[3] فَعلمتْ قُرَيشٌ بِذلكَ فخافوا، فأرسَلوا فِتياناً منهم إلى الرّسولِ، فقالوا:

---

(١) هو قرى بين خيبر والشام (٢) العمرة من اعمال الحج

(٣) هو موضع على مرحلة من مكة.

يامحمدُ ما عُرِفتَ بالغدرِ صغيراً ولا كبيراً ؛ وإنّا لم نُحدِث حدثاً ، فأخبرَهم أنهُ يُريدُ العمرةَ لا قتالَهم .

ولمّا قرُبَ المسلمونَ من مكةَ خرجَ المشركونَ منها إلى رؤوسِ الجبالِ ، كراهيةَ أن يرَوا المسلمينَ يطوفونَ بالبيتِ الحرام .

ثمَّ رجعَ الرسولُ والمسلمونَ ، بعدَ أن أقاموا في مكةَ ثلاثةَ أيامٍ .

حوادث

وفي هذهِ السنةِ : أسلمَ خالدُ بنُ الوليدِ وعمرُو بنُ العاصِ وعُثمانُ بنُ أبي طلحةَ ، بعدَ أن كانوا قادةَ الجيوشِ ضدَّ المسلمين .

وفيها : تزوّجَ (عليهِ السلامُ) صفيّةَ بنتَ حُييِّ بنِ أخطبَ سيّدِ بني النضيرِ ، وكانت في السبي يومَ خيبرَ .

وفيها : تزوّجَ ميمونةَ بنتَ الحارثِ زوجَ عمِّهِ حمزةَ شهيدِ أُحدٍ ؛ وهيَ آخرُ نسائهِ زواجاً .

(١) هو موضع على مرحلة من مكة

السنة الثامنة للهجرة

واقعة مؤتة

فيهَا واقِعةُ مُؤْتَةَ [وهيَ من عَمَلِ البَلقاء بالشَّام] وكانَ قدْ قُتِلَ فيهاَ الرَّسولُ الَّذِي أرْسَلَهُ (عليهِ السَّلامُ) إلَى أميرِ بُصْرَى .

ففي شَهْرِ جُمَادَى الأولَى من هـذهِ السَّنةِ جَهَّزَ الرَّسولُ جَيْشاً لاقِصاصِ ممَّنْ قَتَلوهُ ، وكانَ عدَدُه ثلاثةَ آلافِ رَجُلٍ ؛ وأمَّرَ عليهم زَيْدَ بْنَ حارِثةَ ؛ وقالَ لهمْ : « إنْ قُتِلَ زَيْدٌ فالأميرُ جَعفَرٌ ؛ وإنْ قُتِلَ جعفرٌ فعَبدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ »

ثمَّ أوْصاهمْ بِوَصاَيَا منهاَ : « أنَّهُمْ سَيَجِدُون رِجالاً حَبَسُوا أنفُسَهمْ فِي الصَّوَامِعِ فلاَ يَتعرَّضوا لهمْ ، وَلاَ يقْتُلوا امْرَأةً ولا صغيراً ولا فانِياً ، وَلاَ يَقْطَعُوا شَجَراً »

ثمَّ سارَ زَيْدُ بْنُ حارثةَ بالجَيْشِ حتَّى وَصلوا إلى مُؤْتَة . فوجدُوا الرُّومَ مُجتَمِعينَ لهمْ قريباً من مِئةٍ وخمسينَ ألفَ مُقَاتِلٍ ؛ ومعَهُم من العُدَدِ والذَّخَائِرِ ما لا قِبَلَ لأحدٍ بهِ . فقَاتَلوهُمْ وقاتَلَ زَيدٌ حتَّى قُتِلَ ، فأخَذَ الرَّايةَ جعفَرُ بْنُ أبِي طَالِب ، فقاتلَ حتَّى قُطِعت يَمِينُهُ ؛ فأَخذَهاَ بِشِمالِهِ فقُطِعتْ ؛ فاْحتَضنَها فقُتِل . فأخذهاَ عَبْدُ

اللهِ بنُ رَوَاحَةَ ، فقُتِلَ . وعندَ ذلِكَ كادَ المسلمونَ يَنكَسِرُونَ لَوْلا أنْ أَمَّرُوا عليهمُ الشَّهْمَ الهُمامَ الباسِلَ خالدَبنَ الوَلِيد (رضيَ اللهُ عنه) ؛ فَقاتَلَ الأعداءَ حتَّى قَتلَ منهمْ مَقْتَلةً عظيمةً ، وأصابَ غَنيمةً . وخلَّصَ هـذا الجيشَ القَليلَ منْ مَخالِبِ الأعداءِ التي لا تُحصَى بِمَكايدِهِ الحَربيَّةِ .

ثمَّ رَجعوا إلى المدينةِ . وقدْ أثنَى النبيُّ على خالدٍ .

ويُرْوَى أنَّ يَعلَى بنَ أُميَّةَ قَدِمَ بِخَبرِ أهلِ مُؤْتَةَ ؛ فقالَ له الرَّسولُ : « إنْ شِئْتَ فأخبِرْنِي وإن شِئْتَ أَخبَرْتُكَ » ؛ فقال : « أخبِرْنِي يا رَسولَ اللهِ » فأخبرَهُ خبرَهُمْ ، فقالَ : « والَّذي بعثَكَ بالحقِّ ، ما تركتَ منْ حديثِهم حَرفاً لمْ تذكُرْهُ »

فتح مكة

وفيها : غزوة الفَتحِ الأعظمِ : فَتحِ مكَّةَ .

وذلكَ أنَّ قُرَيْشاً نقضتْ شَرْطاً منْ شُروطِ الحُدَيْبِيةِ ، لأنهمْ أعانوا بَكْراً التي دَخلَتْ في عَهْدِهم على خُزاعةَ التي دَخلتْ في عَهْدِ الرَّسولِ ؛ وذلكَ أنَّ رَجلاً خُزاعِيًّا ضَرَبَ بَكْرِيًّا لأنَّـهُ سَمِعَهُ يَهْجُو رسولَ اللهِ ؛ فَعَزَمَ بَنُو بَكْرٍ علـى مُحارَبةِ خُزاعَةَ ، وطَلَبوا النَّجدَةَ مـنْ قُرَيْشٍ ،

فأعانوهُم يسرًّا ؛ ودَهَموا خُزاعةَ على حِينِ غَفلةٍ ؛ فقتلوا منهم ما يَزيدُ على العشرِينَ . فلما أعلموا الرَّسولَ بذلكَ قـالَ : « لأمنعنَّـكُم مِمَّا أمنعُ منهُ نَفسي »

ثمَّ إنَّ قُرَيشاً نَدِمتْ على ما فَعلتْ حينَ لاَ يَنفَعُها النَّدمُ . فأرسَلوا أبا سُفيانَ بنَ حَربٍ إلى المَدينةِ لِيُجَدِّدَ عَهدَ الحُدَيبيةِ ويَزيدَ في المدَّةِ . فأتى النَّبيَّ في المَسجِدِ ، وعَرَضَ عليهِ ما جـاءَ لأجلِهِ . فقال الرَّسولُ : « هَل كانَ من حَدَثٍ ؟ » قال : لا ؛ فقَالَ : « فَنَحنُ على مُدَّتنا وصُلحِنا » ؛ ولم يَزِدْ على ذلكَ ، فرَجعَ أبو سُفيانَ بِخُفَّي حُنينٍ![1] .

امَّا الرَّسولُ فإنَّهُ تجهَّزَ لِلسَّفرِ ؛ وبَعثَ إلى مَنْ حَولَهُ منَ العرَبِ ، وهُمْ أَسلمُ وغفَّارٌ ومُزَينَةُ وجُهَينةُ وأَشجَعُ وسُليم . وطَوَى الأَخبارَ عَنِ الجَيشِ ، كَيلا تَعلمَ قُرَيشٌ .

ثمَّ سارَ بالجَيشِ ؛ وكانَ عَشَرَةَ آلافِ مُجاهِدٍ ، وذَلكَ في رَمَضانَ .

ولَقيَهُ في الطَّريقِ عَمُّهُ العَبَّاسُ ، وكانَ قد خَرَجَ بأهلهِ مُسلماً . ولَقيهُ أيضاً أبو سُفيَانَ بنُ الحَارثِ بنِ عبدِ المطَّلبِ ، ابنُ عمِّ الرَّسولِ وأخوه من رَضاعِ حَليمَةَ ، ومَعَـهُ ولَدُه جَعفَرٌ فأسلَما .

---

(١) مثل يضرب للخائب

وفي الطَّريقِ أيضاً أسلمَ أبو سُفيَانَ بْنُ حَرْبٍ . وكانَ قدْ جاءَ يتجسّسُ أخبارَ رسولِ اللهِ (صلّى الله عليهِ وسلم) ، فأسرهُ حارسُ جيشِ المسْلمين .

وجاءَ في صحيحِ البُخاريِّ : « انّ رسولَ اللهِ (صلى الله عليهِ وسلمَ) لمّا سارَ عامَ الفتحِ ، فبلغَ ذلكَ قُرَيْشاً ، خرَجَ أبو سُفيانَ وحكيمُ بنُ حِزامٍ وبُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ يلتمِسُونَ الخبرَ عنْ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فأقبلوا يَسِيرُونَ ، حتى أتَوْا مَرَّ الظَّهران [1] ؛ فإذا هم بنيرانٍ كأنّها نيرانُ عرَفةَ ؛ فقالَ أبو سُفيانَ : « ما هذهِ النّيران ؟ لكأنّها نيرانُ عرَفةَ » ؛ فقالَ بُدَيْلُ ابْنُ ورقاءَ : « نِيرانُ بني عَمْرٍو » ؛ فقال أبو سفيانَ : « عَمْرٌو أقلُّ منْ ذلكَ » . فرآهمْ نَاسٌ منْ حَرَسِ رسولِ اللهِ فأدرَكوهُمْ فأخذوهُمْ فأتَوْا بهمْ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فأسلمَ أبو سُفيانَ . فلمّا سارَ قالَ النبيُّ للعبّاسِ : « احْبِسْ أبا سُفيانَ عندَ حَطمِ [2] الخيلِ ، حتى ينظرَ إلى المسْلمين » ؛ فحبَسهُ العبّاسُ ، فجعلَتِ القبائلُ تمُرُّ معَ النّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) كَتيبةً كَتيبةً [3] على أبي سفيانَ ؛ فمرّتْ كَتيبةٌ ، قالَ : « يا عبّاسُ

---

(١) مر الظهران : واد قرب مكة (٢) أي في الموضع المتضايق الذي تتحطم فيه الخيل ، أي يدوس بعضها بعضا ويزحم بعضها بعضا ، فيراها جميعها وتكثر في عينه في مرورها في ذلك الموضع الضيق ؛ (٣) الكتيبة : الجيش ، او جماعة الخيل من المئة الى الالف

مَنْ هذه ؟» قالَ : « هذِهِ غفَّار »؛ قال: «مالِي ولِغفَّار » ؛ ثمَّ مرَّتْ كَتِيبةُ جُهينة فقَالَ مثلَ ذلكَ ؛ ثمَّ مرَّتْ سَعْدُ بنُ هُذَيْمٍ ، فقال مثلَ ذلكَ ؛ ثمَّ مرَّتْ سُليم ، فقال مثلَ ذلكَ ؛ حتى أقبلَتْ كَتِيبَةٌ لمْ يرَ مِثلَها ، قالَ : « مَنْ هذِهِ ؟ » قال : هؤلاء الأنصارُ عليهم سَعْدُ بْنُ عُبادَة معهُ الرَّايةُ ؛ فقال سَعْدُ بْنُ عُبادَةَ : « يا أبا سفيان ، اليومَ يومُ المَلحمةِ ، اليومَ تُستَحلُّ الكعْبةُ »، فقال أبو سفيان : «ياعبَّاس حبَّذا يومُ الذِّمارِ » ؛ ثمَّ جاءتْ كَتِيبَةٌ وهيَ أقلُّ الكتائبِ ؛ فيهمْ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) وأصحابُه ، ورايةُ النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) مَعَ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّام ، فلمَّا مرَّ رسولُ الله (صلّى الله عليه وسلم) بأبي سُفيانَ قالَ : « ألَمْ تعلمْ ما قالَ سَعْدُ ابْنُ عُبادَةَ . » قالَ: ماقال ؟ قال : « قال كذا وكذا » ، فقال : « كذَبَ سَعْدٌ ، ولكنَّ هذا يومٌ يُعَظِّمُ اللهُ فيهِ الكَعْبةَ ، ويَوْمٌ تُكْسَى فيهِ الكَعْبةُ »

ثمَّ سارَ الرَّسولُ ومَنْ معَهُ ، وأرسَلَ خالدَ بْنَ الوَلِيدِ بمَنْ معَهُ ، لِيَدْخُلَ مَكَّةَ من أعلاها ، وأمَرَهُ أنْ لاَ يُقاتِلَ إلاَّ مَنْ قاتلَهُ ؛ ودَخلَ الرَّسولُ منْ أسفَلِها ، فانْدَفعَ خالدٌ فصدَّهُ رجالٌ منْ قُرَيْشٍ ، فقاتَلهم وهَزمهم .

ثمَّ أمَّنَ الرَّسولُ أهلَ مكَّةَ ؛ ونادَى مُنادٍ بأمْرِ الرَّسولِ :

« من دخلَ المسجدَ فهوَ آمِنٌ ، ومنْ دخلَ دارَ أبي سُفيانَ فهوَ آمِنٌ ، ومنْ أغلقَ عليهِ بابَهُ فهو آمنٌ » ، واستثنَى أشخاصاً أهدرَ الرسولُ دمَهم لمساوئهمُ التي لا تُحصَى . فمنهم كعبُ بنُ زُهيرٍ ، وعِكرِمَةُ بنُ أبي جهلٍ ، وصفوانُ بنُ أميَّةَ ، وعبدُ اللهِ بنُ سعدِ ابنِ أبي سَرحٍ [الذي كانَ كاتِبَ الوحيِ ، ثمَّ ارتدَّ عنِ الإسلامِ ، وافترى الكذبَ على الرسولِ] ، ومنهم وحشيٌّ قاتِلُ حمزةَ ، وهندُ بنتُ عُتبةَ زوجُ أبي سُفيانَ .

وفي البُخاريِّ : « دخلَ النبيُّ (صلّى الله عليه وسلم) مكّةَ يومَ الفتحِ ، وحولَ الكعبةِ ستُّونَ وثلاثُ مِئةِ نُصبٍ [1] فجعلَ يطعُنُها بعودٍ في يدِهِ ويقولُ : « جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ . جاءَ الحقُّ وما يُبدِئُ الباطِلُ وما يُعيدُ »

ثم أمرَ بالآلهةِ فأُخرِجتْ منَ البيتِ ، وفيها صورتا إبراهيمَ وإسماعيلَ . وبذلِكَ طهَّرَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ من هذهِ المعبوداتِ الباطلةِ ، واستبدلَ بها عبادةَ اللهِ تعالى وحدَهُ . ثم دخلَ الكعبةَ وكبَّرَ في نواحيها . ثمَّ خرجَ إلى مقامِ إبراهيمَ وصلّى فيهِ . ثمَّ شربَ من ماءِ زمزمَ .

---

(١) النصب : الصنم . وهو بضم النون وسكون الصاد . وقد تضم صاده . ويجوز فيه أيضا فتح النون مع سكون الصاد . وجمع الكل أنصاب .

ثمّ جلسَ في المَسْجِدِ ، والأبصارُ خاشِعةٌ إليهِ لِترَى ما هُوَ فاعِلٌ بمُشرِكي مَكَّةَ أعدائِهِ ، الذينَ آذَوْهُ وأخرجوهُ من بلادِهِ وهمّوا بقتلِهِ مِراراً وقاتلوهُ . ثمّ قامَ فيهم خطيباً فحمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ومَجَّدهُ بما هُوَ أهلُهُ . ثمّ قال :

« أيها النَّاسُ ، إنّ اللهَ حرّمَ مكّةَ يومَ خلقَ السّمواتِ والأرضَ ، فهي حرامٌ بحُرمةِ اللهِ إلى يومِ القيامَةِ . فلا يحل لأمريءٍ يُؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ أنْ يسفِكَ بها دماً ، أو يَعضِدَ [1] بها شجرَةً . فإنْ أحدٌ ترَخصَ فيها لِقتالِ رسولِ اللهِ فقولوا : إنّ اللهَ قدْ أذِنَ لرسولِهِ ولمْ يأذَنْ لكم ؛ وإنّما أُحِلّتْ لِي ساعةً من نهارٍ ؛ وقدْ عادتْ حُرمَتُها اليومَ كحُرمَتِها بالأمسِ ؛ فليُبلّغِ الشّاهِدُ الغائبَ . »

ثمّ قال :

« يامَعشَرَ قُرَيشٍ ، ما تَروْنَ أنّي فاعِلٌ بكم ؟ » قالوا : « خيراً أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ » قال : « اذهَبوا فأنتمُ الطّلَقاءُ » أي الذينَ أُطلِقوا ، فلمْ يُستَرَقّوا ولمْ يؤسَروا .

ثمّ ابتدأ النّاسُ يُبايِعونَ رسولَ اللهِ على الإسلامِ . ومِمّنْ

---

(١) يعضد : يقطع .

أسلمَ في ذلكَ اليومِ مُعاوِيةُ بنُ أبي سُفيانَ، وأبو قُحافةَ والدُ أبي بَكرٍ الصِّدِّيقِ.

وَجاءهُ رَجلٌ يرتعدُ خوفاً فقالَ له: «هوِّنْ عليكَ فإنّي لستُ بملكٍ؛ إنما أنا ابنُ امرأةٍ من قُريشٍ كانتْ تأكلُ القَديدَ.»

ولمّا تمّتْ بيعةُ الرِّجالِ بايعهُ النِّساءُ؛ وكنَّ يُبايِعنَهُ على أنْ لا يُشرِكنَ باللهِ شيئاً، ولا يَسرِقنَ، ولا يَزنِينَ، ولا يَقتُلنَ أولادَهُنَّ، ولا يأتِينَ بِبُهتانٍ يَفترِينَهُ بينَ أيدِيهِنَّ وأرجُلِهِنَّ، ولا يَعصِينَ الرّسولَ في مَعرُوفٍ.

ثمَّ أمرَ بِلالاً أنْ يُؤذِّنَ على ظَهرِ الكَعبةِ فأذَّنَ.

ثمَّ أرسلَ (عليهِ السلامُ) السَّرايا [1] لهدمِ أصنامِ القَبائلِ.

فَهُدِمَتِ العُزّى، [وهيَ أعظَمُ صَنمٍ لِقُريشٍ في نَخلَةَ] ثمّ هُدِمتْ سُواعُ، [وهو صَنمٌ كبيرٌ لِهُذَيلٍ على ثلاثةِ أميالٍ من مكة] ثمّ هُدِمتْ مَناةُ، [وهو صَنمٌ لِكَلبٍ وخُزاعةَ في المُشلَّلِ [2]]

أمّا الذينَ أهدرَ دَمَهُمُ الرّسولُ، فمنهم مَنْ قُتِلَ، ومنهم مَنْ عَزّتْ عليهِ الحِيَلُ، وضاقتْ عليهِ الأرضُ بما رَحُبتْ، حتى جَعلَ

---

(١) السرية: القطعة من الجيش يبلغ اقصاها اربع مئة وجمعها سرايا (٢) هو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد.

اللهُ له مَخرَجاً . فأسلمَ منهم عِكرِمةُ بنُ أبي جَهلٍ ، وهبَّارُ بنُ الأسوَدِ ، وصَفوانُ بنُ أميّةَ . وأسلمَ الحارثُ بنُ هِشامٍ ، وزُهيرُ ابنُ ابي أُميّةَ المخزوميُّ بعدَ أنْ أجارَتهما أمُّ هانيءٍ بنتُ أبي طالبٍ ؛ فأجازَ الرسولُ جِوارَها ، وقال : « إنّنا قد أجرْنا مَن أجرْتِ ياأمَّ هانيءٍ » ؛ وأسلمَ عبدُ اللهِ بنُ سَعْدِ بنِ أبي سَرْحٍ ؛ وقد أعرَضَ عنهُ الرّسولُ مِراراً لخِيانتِهِ ، وعدمِ ثباتِهِ على مَبدَئِه ، وكَذبِهِ على اللهِ ورسولِهِ . وأسلَمتْ هِندُ زَوجُ أبي سُفيانَ . وأسلمَ كعبُ بنُ زُهيرٍ ؛ وأنشدَهُ قصيدَتَهُ التي يقولُ في مَطلعِها :

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتبولُ   مُتيّمٌ إثرَها لمْ يُفدَ مَكبولُ

ومنها في مدحِهِ (عليهِ السلامُ) :

إنَّ الرسولَ لَسيفٌ يُستضاءُ بهِ   مُهنّدٌ من سُيوفِ اللهِ مَسلولُ

ولمّا قال هذا البيتَ خلَعَ الرّسولُ عليهِ بُردَتَهُ ؛ ولذا تُسمّى هذه القصيدةُ بقصيدةِ البُردَةِ (١) .

قصة وحشي قاتل حمزة

وأمّا وَحشيٌّ قاتِلُ حَمزَةَ ، الذي أهدَرَ الرسولُ دَمَهُ مع مَنْ أهدَرَ

(١) وقد اشترى معاويه بن أبي سفيان أيام خلافته هذه البردة من أبناء كعب . ثم صار تتوارثها الملوك والخلفاء ، حتى وقعت للترك من ملوك بني عثمان .

دِماءَهم ؛ فكانَ من حديثِهِ ما رَواهُ البُخاريُّ : قالَ وحشيٌّ ، بعدَ أنْ حكى مَقتَلَ حمزةَ : « فلمّا رَجعَ النّاسُ رجعتُ معهم ، فأقمتُ بمكة حتى فشا فيها الإسلامُ . ثمّ خرجتُ إلى الطّائفِ ؛ فأرسلوا إلى رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) رسولاً ، فقيلَ لي : إنّه لا يَهيجُ الرُّسُلَ (أي لا ينالُهم منهُ مكروهٌ) قال : فخرجتُ معهم حتى قَدِمتُ على رسول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فلمّا رآني قال : أأنتَ وحشيٌّ ؟ قلتُ : نعم ، قال : أأنت قتلتَ حمزةَ ؟ قلتُ : قدْ كانَ منَ الأمرِ ما قدْ بلَغكَ ، قال : فهلْ تستطيعُ أنْ تغيّبَ وجهَكَ عنّي ؟ قال : فخرجتُ فلمّا . قُبِضَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلّم) فخرجَ مُسيلمةُ الكذّابُ ؛ فقلتُ لأخرجنَّ إلى مُسيلمةَ ، لعلّي أقتلُهُ فأكافِيءَ بهِ حمزةَ . قالَ : فخرجتُ معَ النّاسِ ؛ فكانَ من أمرِهِ ما كانَ ، فإذا هوَ رجلٌ قائمٌ في ثَلْمةِ[1] جدارٍ كأنّهُ جملٌ أورقُ[2] ، ثائرُ الرّأسِ ؛ فرميتُهُ بحربتي فأضعُها بينَ ثدييهِ ، حتى خرجتْ من بين كتفيهِ . قال : ووثبَ إليهِ رجلٌ منَ الأنصارِ ، فضربَهُ بالسّيفِ على هامتِهِ . »

---

(١) الثلمة : فرجة في الحائط وغيره من حال او هدم

(٢) أورق : أسود كرماد

واقعة حنين[1]

وفيها : غزوة حُنينٍ — سَارَ إليها الرسولُ قبلَ أنْ يَرْجعَ من فتحِ مكّةَ ، ومعهُ عشرةَ آلافٍ من أهلِ المدينةِ وألفانِ ممّنْ أسلمَ يومَ الفتحِ ، يُريدُ قبيلتي ثقيفٍ وهوازنَ ، لأنهم جمّعُوا الجموعَ لحربهِ ؛ وخرجَ معهُ أيضاً ثمانونَ منَ المشركينَ .

ولمّا وصلوا إلى حُنينٍ سَمعَ الرسولُ رجلًا يقول : « لَنْ نُغلَبَ اليومَ منْ قلّةٍ » ؛ وأعجبَ المسلمونَ بكثرتهم ؛ فصَعُبَ ذلكَ على الرسولِ . ثمّ التقَوا بالعدوّ ، وكانَ على جانبٍ عظيمٍ من الكثرةِ ، وكان كامناً لهمْ في مضيقِ الوادي ؛ فقابلَهم بنبلٍ كالجرادِ المنتشرِ . وكانَ يوماً هائلًا . فدهشَ المسلمون وانهزموا ؛ ولمْ يثبتْ معَ الرسولِ إلاّ جماعةٌ ، منهم أبو بكرٍ وعمرُ وعليٌّ والعبّاسُ وأبو سفيانَ بنُ الحارثِ ابْنُ عمّ الرسولِ .

كلُّ ذلكَ ، والنبيُّ واقفٌ في ذلكَ المعتركِ الضّنكِ والمأزقِ الحرجِ ، ثابتَ الجأشِ قويَّ الجنانِ ، وهو يَقول : « أنا النّبيُّ لا كَذِبَ ، أنا ابْنُ عبدِ المطّلبِ »

ثمّ نادَى العبّاسُ الأنصارَ بأمرِ الرسولِ ، وكانَ جهوريَّ

---

(١) حنين : واد قرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال

الصَّوت ، فانعطفوا على النَّبيِّ كأنهم الإِبلُ ، وقد حنَّت إلى أولادِها ؛ ودافعوا عنه وصدقوا الحملة ، وقاتلوا الأعداء قتالاً شديداً ، حتَّى هزموهم بإذنِ اللهِ « وأنزلَ اللهُ سكينتَهُ على رسولِهِ وعلى المؤمنين ، وأنزلَ جنوداً لم تروها » وهم الملائكة .

وقتلَ منَ المشركينَ أكثرُ من سبعينَ ، وأسرَ منهم كثيرٌ ؛ وأخذَ المسلمون نساءهم وذراريَّهم وأموالَهم ؛ وقُتِلَ منَ المسلمينَ أربعةٌ .

وأسلمَ كثيرٌ من أهلِ مكةَ الَّذينَ كانوا معَ المسلمينَ في هذهِ الغزوة ، بعدَ أن فرحوا بانكسارِهم واستهزءوا بهم . وذلكَ لِماَ رأوهُ من عنايةِ اللهِ بالمسلمينَ ، ونصرِهِ إيَّاهم بعدَ أن ولَّوا الأدبارَ ، وانهزموا شرَّ هزيمةٍ .

ومَن تأمَّلَ في هذا الانكسارِ ، الذي حصلَ للمسلمينَ أوَّلَ الأمرِ ، يجدْ أنَّ مصدرَهُ شيئانِ مهمَّانِ :

الأوَّلُ: الاغترارُ بالكثرةِ ، والافتخارُ بوفرةِ العددِ ، وعدمُ الاتكالِ في النَّصرِ على النَّاصرِ الحقيقي ؛ وهذا يستدعي الثباتَ أمامَ العقباتِ ، وتحمُّلَ الصَّدماتِ ، والصَّبرَ إنْ ألمَّتْ مُلمَّات . وإلى ذلك الإشارةُ بقوله تعالى: « لقدْ نصرَكُمُ اللهُ في مواطِنَ كثيرةٍ ، ويومَ حُنَيْنٍ إذْ أعجبتْكُمْ كثرتُكُمْ فلمْ تُغنِ عنكم شيئاً ، وضاقتْ عليكمُ الأرضُ بما رحُبتْ ؛ ثمَّ ولَّيتُمْ مُدبِرينَ »

الثاني : أنَّ الجيشَ كانَ أخلاطاً منَ المشركينَ والأعرابِ ، وممَّنْ كانوا حديثي عهدٍ بالإسلامِ ؛ وهؤلاءِ لا يهمُّهم انتصارُ المسلمين أوانكسارُهمْ . فلا يُدافِعونَ عَنِ الإسلامِ حقَّ المدافعةِ. كَمَنْ يُقاتِلُ مُخلِصاً دِفاعاً عنْ دينِهِ في سبيلِ اللهِ ، مُعتقِداً أنَّ الفِرارَ يومَ الزَّحفِ منَ الكبائرِ يُعذِّبُهُ اللهُ عليهِ عذاباً شديداً .

غزوة الطائف

وفيها : غزوة الطائف — سارَ إليها الرَّسولُ بمَنْ كانَ معهُ يومَ حُنينٍ لِطلبِ الفارِّينَ ؛ فوجدَهمْ قدْ تحصَّنوا وتزوَّدُوا بما يكفيهِمْ قوتَ سنةٍ .فلمَّا رأَوُا المسلمينَ نضَحُوهمْ بالنِّبالِ نضحاً شديداً فأُصيبَ منهمْ كثيرٌ . وماتَ اثنا عشرَ رجلاً بالجِراحِ . وبقيَ الحصارُ تِسعةَ عشرَ يوماً . فلمْ يُغنِ ذلكَ شيئاً .ثمَّ انصرفَ الرَّسولُ بمَنْ معهُ . ورجعَ إلى الجِعْرانةِ حيثُ تركَ سَبْيَ حُنينٍ .

وبعدَ أيامٍ أتى الرَّسولَ وُفودُ هوازنَ مُسلِمينَ ؛ فخيَّرَهمْ بينَ السَّبْيِ والمالِ . فاختارُوا السَّبْيَ وتركُوا الأموالَ .

رجوع النبي الى المدينة

وبعدَ أنْ أقامَ الرَّسولُ بالجِعْرانةِ ثلاثَ عشرةَ ليلةً أحرمَ

منها بِعُمْرَةٍ ، ودَخلَ مَكَّةَ ليْلاً ، فطَافَ واْستَلمَ الحَجَرَ . ورَجعَ بالَجيشِ منْ لَيْلتِهِ إلى المدينةِ . وكانَ غِيَابُهُ عنها شَهْرَيْنِ وستَّةَ عشَرَ يوماً.

. . . . .

وبهذا الْفَتحِ الأعظمِ : فتحِ مكةَ دانَتْ لِلإسلامِ جُمُوعُ الشِرْكِ ، وانحلّتْ عُرَاهُمْ ، وَوَهَنَتْ قُوَاهم ، وأذهَبَ اللهُ ظلامَهم بِبزُوغِ شَمْسِ الإسلام على رُبُوعِهم .

السنة التاسعة للهجرة

سفانة وعدي

في هذهِ السنة أرْسلَ الرّسولُ عليَّ بنَ ابي طالِبٍ (رَضيَ اللهُ عنهُ) في مِئةٍ وخمسينَ فارِساً إلى الْفَلسِ ، وهوَ صنمُ طَيٍّ . فسارَ إليهِ وهدَمَهُ وأحرَقَهُ ، وقاتَلَ عُبّادَهُ وهزمَهمْ ، وغنِمَ سَبياً ونَعَماً وشاءً . وكانَ في السَّبيِ سَفّانَةُ بنْتُ حاتِمِ الطّائِيِّ الْكَريمِ الجَوادِ الشَّهيرِ . فلمّا رجَعوا إلى المدِينةِ مَنّ الرّسولُ على سَفّانَةَ بإطلاقِ أسرِهَا ، فدَعَتْ لهُ بخيرٍ ، وكانَ منْ دُعائِهَا : « شَكَرَتْكَ يَدٌ افْتقَرَتْ بَعدَ غِنًى ، ولاَ مَلَكَتْكَ يَدٌ اسْتَغْنَتْ بَعْدَ فَقْرٍ ،

وأصابَ بمعْروفِكَ مواضِعَهُ ، ولا جعلَ لكَ إلى لئيمٍ حاجةً ، ولا سلبَ نِعمةَ كريمٍ إلا جعلَكَ سبباً لردِّها عليهِ »

أمّا أخوها عديٌّ فإنهُ هربَ إلى الشامِ لمّا رأى المسلمين قدْ دخلتْ بلادَهُ . فلمّا أطلق الرّسولُ سفّانةَ أختهُ ذهبتْ إليهِ وأخبرتْهُ بما عاملَها بهِ الرسولُ (عليهِ السلام) منَ الكرمِ ؛ وأشارتْ عليهِ أنْ يذهبَ إليهِ ويتْبعَهُ ، وقالتْ : « إنْ يكُنْ نبيّاً فللسابقِ إليهِ فضلٌ ، وإنْ يكُنْ ملِكاً فأنتَ أنتَ ». فخرجَ حتى جاءَ المدينةَ ، ولقِيَ الرّسولَ ، وكلّمهُ وأخبرَهُ أنهُ عديُّ بنُ حاتمٍ ؛ فأخذَهُ الرّسولُ إلى بيتِهِ ، فلمّا كانا في الطّريقِ وقفتِ الرّسولَ عجوزٌ فانيةٌ وقفاً طويلًا تُكلّمُهُ في حاجةٍ لها. فلمّا رأى عديٌّ ذلكَ قال : « واللهِ ما هُوَ بملِكٍ » ؛ فلمّا أتيا البيتَ قال لهُ الرّسولُ : « يا عديُّ ، أسلِمْ تسلَمْ » ؛ قالَها ثلاثاً ؛ فقال عديٌّ : « إني على دينٍ » ، وكانَ نصرانيّاً ؛ فقال : « أنا أعلمُ بدينِكَ منك » ؛ ونصحَ لهُ الرّسولُ ووعظَهُ ؛ فأسلمَ وحسُنَ إسلامُهُ .

غزوة تبوك

فيها غزوة تبوكَ [1] : وتُعرَفُ أيضاً بغزْوةِ العُسْرةِ [لأنّها

(١) تبوك : مكان معروف في منتصف الطريق بين المدينة ودمشق

كانتْ في زَمنِ عُسرَةِ النَّاسِ وَجدْبِ[1] الأَرَاضي وشِدَّةِ الحرِّ ؛ في وَقتٍ يُحِبُّ النَّاسُ فيهِ الرَّاحةَ والدَّعة[2] ؛ وقد طابتِ الظِّلالُ والثِّمارُ . وقد استقبلَ المسلمون فيها سفَراً بَعيداً ؛ ومَفَاوِزَ[3] مُهلِكةً ، وعدُوًّا كَثيراً ؛ حتَّى إنَّهمْ كانُوا يَنحَرُونَ الإبِلَ فَيشرَبونَ ما في كَرِشِهِ منَ الماء ؛ فكانت العُسرَةُ في الماءِ والظَّهرِ والنَّفقَةِ .]

وسببُها أنَّ الرُّومَ جمَعتِ الجموعَ بالشَّامِ مَعَ هِرَقْلَ تُرِيدُ غَزْوَ المسلمين في بلادِهِم ؛ فعلمَ الرَّسولُ بذلكَ . فَجمَعَ الجُموعَ من مَكَّةَ والمدينةِ وقبائلِ العربِ ؛ وطَلَبَ منَ المُوسِرِينَ[4] تَجهيزَ المُعسِرِينَ[5] ؛ فجاءَ عُثمانُ بنُ عفَّانَ بعَشَرةِ آلافِ دينارٍ وثَلاثِ مِئةِ بَعيرٍ بأَحلاسِها[6] وأَقتابِها[7] وخَمسينَ فرَساً ؛ فدَعا له الرَّسولُ (صلى الله عليه وسلم) بالخيرِ ؛ وجاءَ أبو بَكرٍ بكلِّ مالِهِ وهوَ أربعةُ آلافِ درهمٍ ؛ وجاءَ عُمَرُ بنُ الخطَّابِ بنِصفِ مالِهِ ؛ وجاءَ عبدُ الرَّحمنِ بنُ عَوفٍ بمِئَتَي أوقِيَّةٍ ؛ وجاءَ العبَّاسُ وطَلحةُ بمالٍ كَثيرٍ ؛ وتصدَّقَ عاصِمُ بنُ عديٍّ بتِسعينَ وَسقاً[8]

---

(١) الجدب : القحط (٢) السكون (٣) جمع مفازة وهي الفلاة المهلكة .
(٤) الموسرون : الاغنياء ( ) المعسرون : الفقراء (٦) الاحلاس : جمع حلس وهو ما يوضع على ظهر الدابة تحت الرحل او البرذعة او السرج (٧) الاقتاب : جمع قتب وهو الرحل او البرذعة (٨) الوسق حمل البعير أو ستون صاعا .

مِنْ تَمْرٍ ؛ وأرسلَ النِّساءُ بكلِّ ما قَدَرْنَ عليهِ من حُلِيِّهِنَّ . ثمَّ جَهَّزَ عثمانُ والعبَّاسُ أيضاً ويامينُ بنُ عَمْرٍو قوماً آخرينَ جاءوا إلى الرَّسولِ يَسألونَهُ الحُمْلانَ ، فقال لهم : « لا أَجِدُ ما أحمِلُكُمْ عليه » وهمُ الذينَ قالَ اللهُ فيهم : « تَوَلَّوا وأَعْيُنُهم تَفِيضُ منَ الدَّمعِ حَزَناً أنْ لا يَجِدُوا ما يُنْفِقُونَ »

ولمَّا تأهَّبَ الرَّسولُ للخروجِ قالَ قومٌ منَ المنافِقِين : « لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ » فأنزلَ اللهُ تعالى فيهم : « وقالوا : لا تَنْفِرُوا في الحَرِّ ، قُلْ : نارُ جَهَنَّمَ أشدُّ حرّاً لو كانوا يَفْقَهُون »

وجاءَهُ المعذِّرونَ منَ الأعرابِ [وهُمْ أصحابُ الأعذارِ من ضَعْفٍ أوْ قِلَّةٍ] يَستأذِنونَهُ في التَّخلُّفِ عنهُ فأَذِنَ لهم ، وكانوا اثنينِ وثمانينَ رجُلاً ؛ وقَعَدَ آخَرُونَ منَ المُنافقين بغيرِ عُذْرٍ ، يَرْأَسُهم عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ، وهُمْ الذينَ نَزَلَ فيهِمْ قولُه تعالى : « وقَعَدَ الَّذينَ كَذَبُوا اللهَ ورسولَهُ »

وتخلَّفَ نَفَرٌ منَ المسلمين منْ غيرِ شَكٍّ ولا ارْتِيابٍ .

وقدِ استأذَنَهُ جَماعةٌ منَ المنافِقينَ فأذِنَ لهم . وقد قرَّعَهُمُ اللهُ بقولِهِ : « لو كان عَرَضاً قريباً [1] وسَفَراً قاصِداً [2] لاتَّبَعُوكَ ؛ ولكنْ بَعُدَتْ عليهمُ الشُّقَّةُ . [3] وسيَحْلِفُونَ باللهِ : لوِ استَطَعْنا

---

(١) اي لو كان ما يدعون اليه نفعاً دنيوياً سهلا (٢) اي سفراً متوسطاً . القصد : التوسط (٣) الشقة : المسافة ، والسفر البعيد

خَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفسَهُمْ . واللهُ يَعْلَمُ إنهُمْ لَكاذبونَ . »

وقد عَتبَ اللهُ عليهِ في الإذنِ لهم بقوله : « عَفَا الله عنكَ ، لِمَ أَذِنتَ لهم ؟ حتى يَتَبيَّنَ لكَ الَّذينَ صدَقوا وتَعلَمَ الكاذِبينَ * إنمَا يَستأذِنُكَ الَّذينَ لا يُؤمِنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ وارتابت قلوبُهم ، فهم في رَيبِهم يتَرَدَّدون * ولَوْ أرادُوا الخُروجَ لأعدُّوا لهُ عُدَّةً ؛ ولٰكِنْ كَرِهَ اللهُ انبِعاثَهُمْ [1] فَثَبَّطَهمْ ، [2] وقِيلَ : اقعُدُوا مَعَ القَاعدِينَ * لَوْ خَرجُوا فِيكم مازادُوكم إلاّ خَبالاً [3] ، ولأَوضَعُوا خِلالَكُمْ [4] يَبغونَكُمُ الفِتنةَ . وفِيكم سَمَّاعونَ لهمْ ، واللهُ عليمٌ بالظَّالمين * لَقَدِ ابتَغَوُا الفِتنَةَ من قَبلُ ، وقَلَبُوا لكَ الأمور [5] ؛ حَتَّى جاءَ الحَقُّ ، وظَهَرَ أمرُ اللهِ ، وهُم كارِهُون . »

واستخلفَ (عليه السَّلامُ) على المدينةِ وأهلهِ عليَّ بنَ أبي طالبٍ ، وقِيلَ بَلِ استخلفَ على المدينَةِ محمدَ بنَ مَسلَمةَ ، وعلى أهلهِ عليًّا ، فقال عليٌّ أتُخلِّفُني على الصِّبيانِ والنِّساء ؟ فقال (عليهِ السلام) : « ألاَ تَرضَى أنْ تكونَ منِّي بِمنزِلةِ هٰرونَ منْ موسى ، إلاّ أنَّه لا نَبيَّ بعدِي ؟ »

---

(١) اي سيرهم وخروجهم معك (٢) جعلهم يكسلون عن النهوض معك (٣) خبالا فسادا وشرا (٤) أي أسرعوا بينكم بالنميمة والفساد والتخويف . يقال في الاصل وضع البعير اذا اسرع . وأوضعه راكبه اذا حمله على الاسراع . وقد استعير هنا للاسراع بالفساد والشر (٥) اي دبروا لك المكايد وأجالوا الفكر للضرر بك وبالمسلمين

ثمَّ سارَ الرَّسولُ بالجَيْش ، وكانَ ثلاثينَ ألفاً . فلمَّا كانوا في بعض الطَّريقِ ضَلَّتْ[١] ناقةُ الرَّسولِ ، فقال بعضُ المنافقينَ : «يَزْعمُ محمَّدٌ أنه نَبيٌّ ولا يدري أينَ ناقتُه؟» فأطلعَ اللهُ نبيَّهُ على ما قاله ، فقال (عليه السلام) : «إنّي واللهِ لا أعلمُ إلاَّ ما علَّمني اللهُ سبحانه وتعالى ، وقدْ دلَّني اللهُ تعالى عليها ، وهيَ في الوادِي في شِعْبِ كذا وكذا ، وقدْ حبستْها شجرةٌ بزمامِها .»

فلمَّا وَصلوا إلى تَبُوكَ لمْ يَروْا فيها جَيْشاً ، كما كانوا قدْ سمعوا .

وقَبْلَ انْصِرافِهِ من تَبُوكَ جاءَهُ يُحَنَّا صاحِبُ أَيلةَ[٢] ، وبعده أهلُ جَرْباءَ وأَذْرُحَ ومِينَاءَ [وهيَ بِلادٌ بالشَّام] فصالحوهُ وأعطَوْهُ الجِزْيَةَ ، وكَتبَ لهمْ كِتاباً فيهِ أمانٌ لهم ولأموالهم ولأزواجهم مادامُوا على الصُّلحِ والعهدِ .

ثمَّ اسْتشَارَ الرَّسولُ أصحَابَه في أنْ يُجاوِزَ تَبُوكَ إلى ما هوَ أبعدُ منها من دِيارِ الشَّامِ ، فقال عُمَرُ : «إنْ كُنْتَ أُمِرْتَ بالسَّيرِ فسِرْ» فقال (عليه السَّلام) : «لوْ كُنْتُ أُمِرْتُ بالسَّيرِ لم أستَشِرْ»

ثمَّ رَجَعوا من تبوكَ بعْدَ أنْ أقاموا بها عشرينَ ليلةً . ولم

---

(١) ضلت : ضاعت (٢) أيلة : مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام . وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام . والقلزم بضم القاف والزاي وسكون اللام هو البحر الاحمر .

يكُنْ حَرْبٌ . وبنى (عليه السلام) في طَرِيقِهِ مَسَاجِدَ .

فلمَّا دَنَا منَ المَدِينَةِ قالَ الرَّسولُ تَطْيِيباً لِقلوبِ المُعَذِّرِينَ [وهمُ الذينَ حَبَسَهُمُ العُذْرُ الشَّرعيُّ عنِ الخُروجِ معَ النَّبيِّ] : « إنَّ في المَدِينَةِ قَوماً ما سِرتُمْ سَيراً ولاَ قَطَعتُمْ وادِياً إلاَّ كانُوا معَكُمْ ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ »

ولَمَّا دَخَلَ الرَّسولُ المَدِينَةَ قال العَباسُ : « أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَمتَدِحَكَ ؟ » قال : «قُلْ لاَ يُفضِضِ اللهُ فاكَ» فقال قَصِيدةً منها :

وأنتَ لَمَّا وُلِدتَ أشرَقَتِ — الأرضُ وضاءتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ

فَنحنُ في ذلكَ الضِّياءِ وفي — النُّورِ وسُبُلِ الرَّشادِ نَخْتَرِقُ

حوادث

وفيها : وَفَدَ على الرَّسولِ وَفْدٌ منْ ثَقِيفَ فأسلموا ، ودَعَوا قومَهمْ أهلَ الطَّائِفِ فأجابوا .

وفيها : تُوُفِّيَ عبدُ اللهِ بنُ أُبَيِّ بنِ أبي سَلُول ، رئيسُ المُنافقِينَ ، فاستراحَ المسلمون من شُرورٍ كانَ يُهيِّجها عليهم .

وفيها : أيضاً تُوُفِّيتْ أمُّ كُلْثوم ، بنتُ الرَّسولِ وزوجُ عثمانَ بنِ عفَّانَ ، رضيَ اللهُ عنهما .

حج أبي بكر بالناس

وفي ذي القَعْدَةِ من هذهِ السَّنةِ أمرَ الرَّسولُ أبا بكرٍ أنْ يَحُجَّ بالنَّاسِ ، وأمرَهُ أنْ يُؤَذِّنَ بالناسِ يومَ النَّحْرِ : « أنْ لاَ يحُجَّ بعدَ العـامِ مُشرِكٌ ، ولا يَطوفَ بالبيتِ عُرْيان »

فلمَّا سارَ بالناسِ نَزَلَ على الرَّسولِ أوائلُ سُورَةِ (بَراءَة) ؛ فأرسل عليَّ بنَ أبي طـالِبٍ ليُبلِّغَها للناسِ يومَ الحجِّ الأكبرِ ، وقال : « لاَ يُبلِّغُ عنِّي إلاَّ رجُلٌ مِنِّي » ؛ وفَحواها : « نَبْذُ العُهودِ لجميعِ المشركينَ الَّذينَ لمْ يُوفُوا بعُهودِهم ، وإمهالُهمْ أربعةَ أشْهرٍ يَسيحُونَ فيها في الأرضِ كيفَ شاءُوا ، وإتمامُ العهودِ للمشركينَ الذينَ لم يَتظاهَرُوا ضِدَّ المسلمين إلى مُدَّتها » . وأنزل اللهُ تعالى : « يا أيُّها الذينَ آمنوا إنَّما المُشرِكونَ نَجَسٌ فلا يَقْرَبوا المَسجِدَ الحَرامَ بعدَ عامِهِمْ هذا » . فَلَمْ يَحُجَّ في العامِ القابلِ مُشرِكٌ . وكانَ عليٌّ يُصَلِّي في هـذا السفَرِ وراءَ أبي بكرٍ (رضيَ اللهُ عنهما) .

السنة العاشرة للهجرة

بعثات الى اليمن

في هذهِ السنةِ أرسلَ الرّسولُ عليّ بْنَ أبي طالِبٍ (عليه السلامُ) في ثلاث مِئَةِ فارِسٍ إلى بَنِي مَذْحِجٍ منْ أهلِ اليمن ؛ وعقّدَ لهُ لِواءَهُ بِيَمِينِهِ وعَمَّمَهُ بِيدِهِ ، وقال له : « سِرْ حتى تَنْزِلَ بِساحتهمْ ، فادْعُهم إلى قولِ لا إلهَ إلاّ الله ؛ فإنْ قالوا : نَعمْ ، فَمُرْهُمْ بالصلاةِ ، ولاَ تَبْغِ منهم غيرَ ذلك . ولأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رجلًا واحداً خَيرٌ لكَ ممّا طلعتْ عليهِ الشَّمْسُ ؛ ولاَ تُقاتِلْهمْ حتّى يُقاتِلوكَ » . وقال له ايضاً : « إذا جَلَسَ إليك الخصْمانِ فلا تَقْضِ بينهما حتّى تَسْمَعَ منَ الآخَرِ »

فسارَ عليٌّ حتّى انتهى إليهم ولَقِيَ جُموعَهُمْ ؛ فدَعاهمْ إلى الإسلام فأَبَوْا ورَمَوْا المسلمين بالنَّبْلِ ، فَحَمَلَ عليهم المسلمونَ فقتلوا منهم عشرينَ رجُلًا ، فانهزموا فكَفَّ عنْ طلبهم . ثم لحِقَهُمْ فدَعاهم إلى الإسلامِ فأجابُوا ؛ وبايَعَهُ رُؤَساؤُهمْ ، وطلَبوا مِنه أنْ يأخذَ زكاةَ أموالِهمْ ، وأنْ يكونوا على مَنْ وراءَهمْ منْ قومِهِم .

ثمَّ قَفَلَ عليٌّ (رضي الله عنهُ) بِأصحابِهِ، فوافَى الرَّسولَ بمكَّةَ في حجَّةِ الوداعِ.

ثمَّ أرسلَ الرَّسولُ إلى أهلِ اليمنِ مَنْ يُعلِّمهم شرائعَ الإسلامِ، [وكانتْ مِخلافَيْنِ[1]]، فبعثَ مُعاذَ بنَ جَبَلٍ إلى الكُورَةِ العُلْيا من جِهَةِ عَدَنَ، وبعثَ أبا موسى الأشعريَّ إلى الكُورَةِ السُّفْلَى. وقال لهما: «يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا»، وقال لِمُعاذٍ: «إنَّكَ ستأتي قوماً أهلَ كِتابٍ[2]، فإذا جئتَهُمْ فادْعُهم إلى أنْ يَشهدُوا أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وأنَّ محمداً رسولُ اللهِ، فإنْ أطاعُوا لكَ بذلك فأخبِرْهم أنَّ اللهَ قدْ فَرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لكَ بذلك فأخبِرْهمْ أنَّ اللهَ قدْ فَرَضَ عليهم صَدَقةً[3] تُؤْخَذُ من أغنيائِهم فتُرَدُّ على فُقَرائِهِمْ، فإنْ هُمْ أطاعُوا لكَ بذلك فإيَّاكَ وكَرائِمَ[4] أموالِهِمْ. واتَّقِ دَعوةَ المظلومِ، فإنَّها ليسَ بينها وبينَ اللهِ حِجابٌ».

ثمَّ انطلَقَ كلٌّ منهما إلى عملِهِ، فمكثَ مُعاذٌ باليمنِ حتى تُوُفِّيَ رسولُ اللهِ. أمَّا أبو موسى فقَدِمَ على النَّبيِّ في حجَّةِ الوداعِ.

---

(١) المخلاف: الكورة والاقليم (٢) حينما ذكر اهل الكتاب فالمراد بهم اليهود والنصارى (٣) المراد بالصدقة الزكاة (٤) أي ان أسلموا واعطوك الزكاة فلا تعتد على أطايب أموالهم.

[library stamp]

حجة الوداع

وفي هذهِ السنةِ حجَّ رسولُ الله (صلّى الله عليه وسلم) الحِجَّةَ الَّتي تُعْرَفُ بحِجَّةِ الوَدَاعِ وحِجَّةِ البَلاغِ وحِجَّةِ الإسْلام

خرجَ الرّسولُ إليها يومَ السَّبْتِ لخمس بَقِينَ من ذِي القعْدَةِ. فَسارَ حتّى دخلَ مكةَ .

وفي الثّامنِ من شهرِ ذِي الحِجَّةِ ذَهبَ إلى مِنَى فباتَ فيها .

وفي التاسعِ منهُ تَوَجَّهَ إلى عَرَفةَ . وفيها خطَبَ خُطبَتَهُ التي تُعْرَفُ بخُطبَةِ الوَداعِ ، بيّنَ فيها أهمَّ أصولِ الدِّينِ وفرُوعِهِ .

وفي هذا اليوم نزَلَ قولهُ تعالى الذي امتنَّ فيهِ على المؤْمِنينَ وهوَ : « اليومَ أكملتُ لكم دِينكمْ وأتممْتُ عليكم نِعمتي ورَضيتُ لكمُ الإسلامَ دِيناً » فلا عَجبَ أنِ اتخذَ المسلمونَ ذلِكَ اليومَ عِيداً .

وفي البُخارِيِّ عن عُمرَ بنِ الخطّابِ (رضيَ الله عنه) : « انّ رَجُلا منَ اليهودِ قال لهُ : يا أميرَ المؤْمنينَ ، آيةٌ في كِتابكم تقرؤُنها لَوْ علَينا ، معْشَرَ اليهودِ ، نزَلتْ لاتخذنا ذلكَ اليومَ عِيداً . قال أيُّ آيةٍ هيَ ؟ قال : « اليومَ أكملتُ لكمُ دِينَكم وأتممتُ عليكم نِعمَتي ورَضِيتُ لكمُ الإسْلامَ دِيناً» ؛ فقال : عُمَرُ : « قد

عَرَفْنا ذلك الْيومَ والمكانَ الذي نزلَتْ فيهِ، نَزَلَتْ على النَّبيِّ (صلى الله عليه وسلم) وهو قائمٌ بعرفةَ يومَ جُمُعَةٍ»

ثمَّ رجعَ الرَّسولُ إلى المدينةِ.

وفود العرب

ولمَّا امتدَّ سُلطانُ الإسلامِ، وبزَغتْ شمسُهُ على الأنامِ، وأدركَ حقيقتَهُ الخاصُّ والعامُّ، رَغِبَ فيهِ الشَّيخُ والغلامُ؛ فأتوهُ طوعاً زرافاتٍ ووحداناً، مُشاةً ورُكباناً؛ وشدُّوا الرِّحالَ لاعتناقِهِ، وجابُوا المفاوزَ للتَّشرُّفِ بالدُّخولِ فيهِ. فكثُرَتِ الوفودُ على الرَّسولِ في هذهِ السَّنة والَّتي قبلَها؛ وأسلمَ كثيرٌ من قبائلِ العربِ عن طيبِ نفسٍ، إذعاناً للهِ، وخضوعاً لدينِهِ.

ومن الوُفود بنو حَنيفةَ، وفيهم مُسَيلِمةُ الكذَّابُ. وقد أسلَموا إلَّا مُسَيلِمةَ هذا؛ فإنَّهُ قد ادَّعى النبوَّةَ.

خبر مسيلمة الكذاب

جاءَ في الصَّحيحَينِ [1] عنِ ابنِ عبَّاسٍ (رضيَ اللهُ عنهمَا)

(١) الصحيحان: كتابان هما اصح كتب الحديث. احدهما للامام البخاري والآخر للامام مسلم

قال : « قَدِمَ مُسَيلِمَةَ الكذّابُ على عَهْدِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليهِ وسلم) فجعَلَ يقولُ : إنْ جَعَلَ لي محمَّدٌ الأَمرَ من بعدِهِ تَبِعْتُهُ . وقَدِمَها في بَشَرٍ كثيرٍ من قومه . فأَقبلَ إليهِ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) ومعَهُ ثابتُ بنُ قَيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، وفي يَدِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قِطعةُ جريدٍ ، حتَّى وقفَ على مُسَيلِمَةَ في أَصحابِهِ فقال : « إنْ سأَلْتَني هذهِ القِطعةَ ما أَعطيتُكَها . ولنْ تَعْدُوَ أَمرَ اللهِ فيك . ولَئِنْ تَوَلَّيتَ لَيَعقِرَنَّكَ اللهُ . وإنّي لأَراكَ الذي أُريتُ فيهِ [1] ما رَأَيتُ ، وهذا ثابتٌ يُجيبُكَ عنّي » ؛ ثم انصرفَ عنهُ . قالَ ابنُ عبّاس : فسأَلتُ عن قولِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : « إنَّكَ الذي أُريتُ فيهِ ما رأَيتُ » فأَخبرَني أبو هُرَيْرَةَ أنَّ رسولَ اللهِ (صلى الله عليهِ وسلم) قال : « بَينا أَنا نائمٌ رأَيتُ في يَدَيَّ سِوارَيْنِ من ذَهَبٍ ، فأَهمَّني [2] شأْنُهما ؛ فأُوحِيَ إليَّ في المَنامِ : أَنِ انفُخْهُما فنَفَخْتُهما فطارا [3] ، فأَوَّلتُهما كذّابَينِ يَخرُجانِ » فهذانِ هما : أَحدُهما الأَسودُ العَنْسيُّ [4] ، صاحِبُ صَنعاء ، والآخرُ مُسَيلِمَةُ الكذّابُ

---

(١) اي اراني الله فيه مناماً لايقظة (٢) اهمني : اقلقني واحزنني (٣) يريد ان الكذابين هذين لحقارة شأنهما يمحقان بأدنى ما يصيبهما من بأس الله وشدته . فكأنهما الشيء الذي ينفخ فيه فيطير (٤) الاسود لقبه . واسمه عبهلة بن كعب . ويقال له ايضاً الاسود الصنعاني ، نسبة الى صنعاء اليمن . وكان يقال له ذو الحمار ، لانه علم حمارا اذا قال له : اسجد يخفض رأسه . ومات باليمن مقتولا بيد فيروز الديلمي —

صاحِبُ اليَمامةِ .[١]

وفي الصَّحيحينِ ايضاً من حديث ابي هُرَيْرَةَ : قالَ : قالَ رسولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : « بَيْنَا انا نائِمٌ إذْ أُتِيتُ بِخزائنِ الأرضِ ، فوُضِعَ في يَدَيَّ سِواران من ذهبٍ ، فكَبُرَا عليَّ [٢] وأَهمَّاني ؛ فأُوحِيَ اليَّ . أنِ انْفُخْهما ، فنَفَخْتُهما فطارا ؛ فأَوَّلتُهما الكذَّابَيْنِ اللذَيْنِ أنا بينَهما : صاحبَ صَنْعاء وصاحبَ اليَمامة . »

وفي هذهِ السَّنة . تُوُفِّيَ إبراهيمُ ابنُ الرَّسولِ (صلى الله عليه وسلم)

***

وقدْ تمَّ لِهجْرةِ رسولِ اللهِ ، بانْتِهاء السَّنةِ العاشِرةِ ، عَشْرُ سَنواتٍ إلاَّ شهرَيْنِ وأَحدَ عشَرَ يَوْماً ؛ وذلكَ لِهجْرَتِهِ من مكةَ إلى المدينةِ .

— بعد ان قويت شوكته وحارب المسلمين وقتل منهم . وكان مقتلهقبل وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بيوم وليلة

(١) مسيلمة لقبه . واسمه يمامة بن حبيب . وهو حنفى ، نسبة الى بني حنيفة. وقد قتله وحسي قاتل حمزة عم الرسول ، وأعانه عليه رجل من الانصار . كما ذكرنا ذلك من قبل . وكان قتله في خلافة ابي بكر الصديق . وكانت شوكته قد عظمت بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) . ويقال له ايضاً مسيلمة اليمامي ، نسبة الى اليمامة، من ارض نجد . (٢) كبرا علي : ثقلا علي . يريد ثقل عليه ان يلبسها لان لبس السوار من شأن النساء لا من شأن الرجال

السنة الحادية عشرة للهجرة

مرض الرسول

فيها: جهز الرسول سرية برئاسة أسامة بن زيد بن حارثة إلى أبنى [وهي ناحية بالبلقاء من مؤتة حيث قتل والده]

وكان في الجيش كبار المهاجرين والأنصار كأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وسعد. وكان أسامة شابًا لا يتجاوز السابعة عشرة من عمره، ولم يتم لهذه السرية السفر لأنه ابتدأ مرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم)

فلما اشتد برسول الله المرض استأذن نساءه أن يمرض [1] في بيت إحداهن؛ فأذن له أن يمرض في بيت عائشة.

ولما تعذر عليه الخروج إلى الصلاة قال: « مروا أبا بكر فليصل بالناس ». ثم خرج متوكئًا على علي والفضل. وتقدم العباس أمامهم؛ والنبي معصوب الرأس يخط [2] برجليه، حتى جلس في أسفل مرقاة المنبر. فثار إليه الناس؛ فحمد الله وأثنى

---

(١) يمرض أي يخدم في مرضه (٢) أي لايستطيع أن يثبتها على الارض

عليه ثم قال :

« أيها النَّاسُ بلغني أنكم تخافونَ من موتِ نبيِّكم . هل خلدَ نبيٌّ قبلي فيمن بعث فأخلدَ فيكم ؟ ألا وإني لاحقٌ بربِّي ، وإنكم لاحقونَ بي ؛ فأوصيكم بالمهاجرينَ الأولينَ خيراً ، وأوصي المهاجرينَ فيما بينهم ؛ فإنَّ اللهَ تعالى يقولُ : « والعصرِ إنَّ الإنسانَ لفي خسرٍ ، إلاَّ الذينَ آمنوا وعملوا الصَّالحاتِ وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصَّبرِ »وإنَّ الأمور تجري بإذنِ اللهِ، ولاَ يحملنَّكمُ استبطاءُ أمرٍ على استعجالِهِ ، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ لا يعجلُ بعجلةِ أحدٍ ، ومَنْ غالبَ اللهَ غلبَهُ ، ومَنْ خادعَ اللهَ خدعَهُ « فهل عسيتُمْ إنْ تولَّيتم أنْ تفسدُوا في الأرضِ وتقطِّعوا أرحامَكم ». وأوصيكمْ بالأنصارِ خيراً ، فإنَّهمُ الذينَ تبوَّءوا الدَّارَ والإيمانَ من قبلِكم : أنْ تحسنوا إليهم ؛ ألم يشاطِروكم في الثِّمارِ ؟ ألمْ يوسِّعُوا لكم في الدَّارِ ؟ ألمْ يؤثِروكم [1] على أنفسهِم وبهم الخصاصةُ ؟ [2] ألا فمَنْ وُلِّيَ أنْ يحكُمَ بينَ رجلَينِ فليقبلْ من محسِنهمْ وليتجاوزْ عنْ مسيئِهمْ ، ألاَ ولا تستأثِروا [3] عليهمْ . ألاَ وإنِّي فرطٌ [4] لكم ، وأنتمْ لاحِقون بي ؛ ألاَ فإنَّ

---

(١) اي يفضلوكم (٢) الخصاصة : الفقر (٣) لاتستأثروا : لاتستبدوا (٤) أي متقدم عليكم وسابقكم . والفرط في الاصل الذي يتقدم الواردين الى الماء فيهيء لهم الارسان والدلاء ليستقي لهم

مَوعِدَكُمُ الحَوضُ ؛ الا فمَن أحبَّ أن يَرِدَهُ عليَّ فليكفف يَدَهُ ولِسَانَهُ إلاَّ فيما يَنْبغي »

وفاة الرسول

ولمَّا كانَ يومُ الأحدِ اشتدَّ وَجعُ الرَّسولِ (صلى الله عليه وسلّم)

ولمَّا دخلَ يومُ الاثنينِ ، في الثَّاني عشرَ من شهرِ رَبيعِ الأوَّلِ ، الذي هوَ تَتِمَّةُ عشرِ سِنينَ للهِجرَةِ ، فارقَ الرَّسولُ دُنياهُ ، ولحِقَ بمولاهُ ، واختارَ الرَّفيقَ الأعلى ، على زَهرةِ الحياةِ الدُّنيا ؛ بعدَ أن أدَّى الأمانةَ حقَّ أدائِها ، وهدى النَّاسَ الى الصِّراطِ المستقيم ، ودَعاهم إلى اللهِ العظيم ؛ فلاقى من أجلِ ذلكَ مشقَّاتٍ جمَّةً ؛ وأهوالاً عظيمةً . فكم أزاحَ عقبةً [1] كؤوداً ، وخاضَ بحراً هائجاً ، وسلكَ مفاوزَ مُهلِكةً ؛ فثبتَ غيرَ مُبالٍ بهولٍ ، ولاَ عابئٍ بشدَّةٍ ؛ ووقفَ أمامَ تِلكَ المُلِمَّاتِ [2] ، وسَبَحَ في تلكَ الغمرَاتِ [3] ؛ الى أن صرعَ الحقُّ الباطِلَ ، وأبادَ تِلكَ الجحافِلَ [4] ، فَنشِرَتْ أشِعَّةُ الدِّينِ الحَنيفِيِّ في هاتِيكَ المجاهِلِ [5] .

(١) العقبة : واحدة عقبات الجبال وهى الطريق الصعب في الجبل . والعقبة الكؤود هي الصعبة المرتقى (٢) الملمات : النوازل (٣) الغمرات : الشدائد (٤) الجحافل الجيوش العظيمة والمراد بها جيوش الباطل (٥) المجاهل : جمع مجهل وهي الفلاة المهلكة التي لايهتدى فيها والمراد بها تلك الظلمات من الباطل والشرك والفجور التي أضلت الامم .

فذهب والكون بما فيه ألسنة ناطقة بالشكر له والثناء عليه؛ لأنه كان السبب الأقوى في تخليص العالم من الضلال والفجور وفساد الأخلاق، والوسيلة العظمى في تنوير الأفكار، وبث روح المدنية الحق في هذا العالم؛ فحسنت بذلك الحال، وسلم المآل؛ وقد شهدت له بذلك العلماء الغابرة؛ والفلاسفة الحاضرة.

***

وعند وفاة رسول الله (عليه الصلاة والسلام) كان أبو بكر غائباً في السنح [وهي منازل بني الحارث بن الخزرج] فلما علم المسلمون بوفاته عظم عليهم الأمر واشتد الهول. وجاء عمر بن الخطاب منتضياً سيفه متوعداً من يقول: «مات رسول الله» وقال: «إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى تلاث عن قومه أربعين ليلة»

فلما جاء أبو بكر وأخبر الخبر. دخل بيت عائشة؛ وكشف الحجاب عن وجه رسول الله، فقبله وبكى. ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

«ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت» ثم تلا قوله تعالى. «إنك ميت وإنهم ميتون» «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله

الرُّسُلُ ، أَفإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقلبتم على أعقَابِكم ؟ ومَنْ يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْهِ فلَنْ يضُرَّ اللهَ شيئاً ، وسيَجزِي اللهُ الشَّاكرِينَ »

قال عمرُ : « فكَأَنِي لمْ أتلُ هٰذِهِ الآيةَ قطُّ »

دفنه عليه السلام

وبقِيَ عليهِ السَّلامُ في بَيْتِهِ بَقِيَّةَ يومِ الاثنين ولَيْلَةَ الثلاثاء ويومَهُ ولَيلةَ الأربِعاء حتَّى انتهى المسلمونَ من إقامَةِ خليفةٍ لهم ، ثمَّ غُسِّلَ وكُفِّنَ في ثلاثةِ أثوَابٍ ليسَ فيها قَميصٌ ولاَ عِمامةٌ .

ولمَّا تمَّ تجهيزُهُ وُضِعَ على سَرِيرِهِ في بَيتِ عائشةَ ، وصلَّى عليهِ المسلمونَ افراداً بلا إمامٍ ، الرِّجالُ ثمَّ النِّساءُ ثمَّ الصِّبيانُ ، ثمَّ حفِرَ لهُ لَحْدٌ في بَيتِ عائِشَةَ حيثُ تُوُفِّيَ ، ودُفِنَ لَيلَةَ الأربِعاء في جَوفِ اللَّيلِ ، ودَخلَ القبرَ عليٌّ والعبَّاسُ وَوَلَدَاهُ الفضْلُ وقُثَمُ ؛ وهُمْ الذينَ تَوَلَّوْا غسْلَهُ وتَكْفِينَهُ وأمْرَهُ كلَّهُ . ورَشَّ قبرَهُ بالماءِ بِلالٌ . ورُفِعَ قبرُهُ عنِ الأرضِ قَدْرَ شِبْرٍ .

وفي الحديثِ : « لا تَتَّخِذُوا قبري وثَناً يُعْبَدُ من بعدِي »

***

تُوُفِّيَ عليهِ السَّلامُ ولمْ يَترُكْ للمسلمينَ سِوَى شيئَينِ لا يَضُرُّهمْ شيءٌ ما تَمَسَّكُوا بِهِمَا . وهما : كِتابُ اللهِ الذي لاَ يأتِيهِ الباطِلُ من بينِ يدَيْهِ ولاَ من خَلْفِهِ ، ثمَّ ما حَفِظَهُ عنهُ الثِّقاتُ منَ الأحاديثِ التي كانَتْ تَشريعاً للأحكامِ وتَبْيِيناً

وتوضيحاً لمقاصد القرآن الكريم .

وقد همّ الرسول ، وهو في مرض موته ، أن يكتب للأمة كتاباً لا تضل بعده أبداً . روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : « لما اشتد بالنبي (صلى الله عليه وسلم) وجعه قال : « ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً » فقال بعضهم : إن النبي (صلى الله عليه وسلم) قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن . حسبنا كتاب الله . فاختلفوا وكثر اللغط . فقال : « قوموا عني . ولا ينبغي عندي التنازع »

عمره صلى الله عليه وسلم

عاش عليه السلام ثلاثاً وستين سنة ، قضى منها أربعين سنة قبل النبوة ، وثلاث عشرة سنة في مكة بعدها ، وعشر سنين في المدينة بعد الهجرة .

وقد اتفق أن يوم ولادته وهجرته ووفاته هو يوم الاثنين في الثاني عشر من شهر ربيع الأول . صلى الله عليه وآله وسلم ، وجعلنا ممن يرد حوضه وينال مرافقته في أعلى عليين . ثم إنا نحمده تعالى أن جعلنا من أمته ، كما نسأله أن يتوفانا على ملته ، ويرشدنا إلى العمل بمقتضى شريعته ، ويثبتنا على هدايته ، ويغنينا

(سُبحَانه وتعالَى) في الدُّنيا والآخرَةِ برحمته ؛ آمينَ .

الخلافة بعده

انْتقَلَ الرَّسولُ منْ هٰــذهِ الدَّارِ الْفانيةِ إلى تِلكَ الدَّارِ الباقيةِ ولم يَعْهَدْ لاحدٍ بَعْدَهُ بالأَمْرِ ليكونَ خَليفةً للْمسلمين [1] .

رَوَى الْبخَارِيُّ عن ابْنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهمَا : « أنَّ عَليَّ ابنَ أبي طالِبٍ (رَضِيَ اللهُ عنه) خرجَ من عِنْدِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلمَ) في وَجعهِ الذِي تُوُفِّيَ فيـهِ ، فقال النَّاسُ : « ياابا الحَسَن ، كيفَ أَصبحَ رسولُ اللهِ ، صلى الله عليه وسلم ؟ » فقالَ : « أصبح بحَمْدِ اللهِ بارِئاً » فأخذَ بِيدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عبْدِ المطّلِبِ (رضِيَ اللهُ عنهُ) فقال : « أنتَ واللهِ بعدَ ثلاثٍ [2] عبْدُ الْعَصاَ [3] . وإنِّي واللهِ لأرَى رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم) سَوفَ يُتوَفَّى في وَجعِهِ هٰــذا ؛ إنِّي لأعْرِفُ وُجوهَ بَنِي عبدِ المطّلِبِ عِنْدَ الموْتِ ؛ اذْهَبْ بِناَ إلى رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَلْنَسأَلهُ فِيمَنْ هذا الأَمْرُ ؟ إنْ كانَ فِينَا علِمْنا ذلكَ ، وإنْ كانَ في غيرِنا عَلِمْناهُ فأوصَى بِناَ » فقال عليٌّ : « إنَّا واللهِ لَئِنْ سألناها رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَمَنَعَناهاَ

(١) غير ان الشيعة يقولون : ان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى بها بالنص لسيدنا علي بن ابي طالب (عليه السلام) (٢) أي بعد ثلاث من الليالي بايامها
(٣) أي تصير مأموراً بموته وولاية غيره

لا يُعطِيناها النَّاسُ بعدَهُ ؛ وإنّي لا أسألُها رسولَ الله (صلى الله عليه وسلم)

وبعدَ وفاةِ الرّسولِ اختلَفَ الصّحابةُ فيمَنْ يتولّى الأمرَ بَعدَهُ ، فطلَبَها الأنصارُ لأنفُسِهِمْ ؛ فأرادَ عُمَرُ الكلامَ فقال له أبو بكرٍ : على رِسْلِكَ [1] ، ثمّ حمِدَ اللهَ وأثنى عليهِ ثمّ قال :

« أيُّها النَّاسُ : نحنُ ، المُهاجِرينَ ، أوّلُ النَّاسِ إسلاماً ، وأكرَمُهُمْ أحساباً ، وأوسَطُهم داراً ، وأحسنُهم وجوهاً ، وأكثرُ النَّاسِ وِلادَةً في العرَب ، وأمسُّهُمْ رَحِماً ، برَسولِ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) : أسلَمْنا قبلَكم ، وقُدِّمنا في القُرآنِ عليكم ، فقال تبارَكَ وتعالى : « والسَّابِقونَ الأوّلونَ منَ المهاجِرينَ والأنصارِ الذينَ اتّبَعُوهُمْ بإحسَانٍ » فنَحنُ المهاجرونَ وأنتمُ الأنصارُ إخوانُنا في الدِّينِ ، وشُرَكاؤُنا في الفَيءِ ، وأنصارُنا على العدُوِّ ؛ وآوَيتُمْ وواسَيتُمْ ، فجزاكُمُ اللهُ خيراً ؛ فنحنُ الأمراءُ وأنتمُ الوُزَراءُ ؛ لا تَدينُ العَرَبُ إلاّ لهذا الحيِّ من قُرَيش ؛ فلا تَنفَسوا على إخوانِكم المُهاجِرينَ ما منَحَهُمُ اللهُ من فَضلِهِ [2] »

ثمّ قالَ عُمَرُ لأبي بكرٍ : « أمدُدْ يدَكَ أبايعْكَ » فمدَّ يدَهُ ، فبايَعهُ ؛ وبايَعهُ النّاسُ . وهوَ أوّلُ خليفةٍ في الإسلامِ .

«١» أي على مهلك (٢) أي لاتحسدوهم على ذلك

الخاتمة في أشياء متفرقة

اولاده عليه السلام

أَبناءُ الرَّسولِ ثَلاثَةٌ وهُمْ : الْقاسِمُ [١] وإبْراهيمُ [٢] وعبدُ اللهِ [٣] . وأَمَّا بَناتُهُ فَهُنَّ أَرْبعٌ : زَيْنَبُ [٤] وَرُقَيَّةُ [٥] وأُمُّ كُلْثوم [٦] وفاطِمةُ الْبَتُولُ [٧] ، وهيَ الزَّهراءُ . علي الجميع السلامُ .

وكلُّ أَوْلادِهِ من خَدِيجةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ ، إلاَّ إبراهيمَ فإنَّه من مَارِيةَ الْقِبْطِيَّةِ .

وكلُّ أَوَلادِهِ وُلِدُوا قَبلَ النُّبوَّةِ ، إلاّ فاطمةَ فبعْدَ النُّبوَّةِ بِسنَةٍ واحِدَةٍ على المعتَمد [٨] . وإلاّ إبْراهيمَ فإنَّهُ وُلِدَ في السنة

(١) هو أول ولد ولد له قبل النبوة ، وبه كان يكنى وعاش سنتين (٢) توفي بعد سبعين يوماً من مولده (٣) ويلقب بالطيب والطاهر ، وقد مات صغيرا (٤) هي اكبر بناته أدركت الاسلام واسلمت . ثم اسلم زوجها وابن خالتها ابو العاص لقيط بن الربيع (٥) زوجها عثمان بن عفان (٦) تزوجها عثمان ايضاً بعد وفاة أختها رقية (٧) زوجها علي بن أبي طالب وتلقب بالبتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلا ودينا (٨) وقيل ولدت قبل النبوة بخمس سنين وهو غير معتمد .

الثَّامِنةِ من الهِجْرَةِ .

وكلُّ أَوْلَادِهِ مَاتُوا قَبلَهُ، إلاَّ فاطِمةَ ، فإِنَّها عاشَتْ بَعْدَهُ سِتَّةَ أشهُرٍ .

أزواجه وسراريهِ الطاهرات

قدِ اختُلِفَ في أَزْوَاجِهِ (صلى الله عليه وسلم) والمُتَّفَقُ عليهِ أَنَّهنَّ إِحدَى عَشرَةَ امْرَأَةً : سِتٌّ من قُرَيْشٍ وهُنَّ : خَدِيجةُ (١) بنتُ خُوَيْلِدٍ. ولم يَتَزوَّجْ غيرَها إلاَّ بعدَ وفاتِهَا ، وعائِشةُ (٢) بنتُ أَبي بكرٍ الصِّديقِ ، وَحَفْصةُ (٣) بنتُ عُمَرَ ، وأُمُّ حَبِيبَةَ (٤) بنتُ أَبي سُفيَانَ ، وأُمُّ سَلَمةَ (٥) هِنْدُ بنتُ أَبِي أُمَيَّةَ ، وَسَوْدَةُ (٦) بنْتُ زَمْعةَ ؛ وأَرْبعُ عَرَبِيَّاتٌ وهُنَّ : زينبُ (٧) بنْتُ جَحْشٍ من بني أَسدِ بْنِ خُزَيْمَةَ ، ومَيْمُونةُ (٨) بنتُ الحارِثِ الهِلالِيَّةُ ، وزَيْنَبُ (٩) بنْتُ خُزَيْمَةَ الهِلالِيَّةُ وتُعْرَفُ بأُمِّ المَساكِينِ ، وجُوَيْرِيةُ (١٠) بنْتُ الحارِثِ من بَني المُصطَلِقِ ؛ وواحِدَةٌ من بني

(١) توفيت سنة ١٠ من النبوة (٢) توفيت في المدينة سنة ٥٨ أيام معاوية (٣) توفيت سنة ٤٥ في ايام معاوية (٤) توفيت في المدينة سنة ٤٤ أيام اخيها معاوية (٥) توفيت سنة ٥٩ في ايام معاوية (٦) توفيت بالمدينة سنة ٥٤ في خلافة معاوية (٧) ماتت في المدينة سنة ٢٠ في أيام عمر (٨) توفيت سنة ٥١ بسرف ايام معاوية (٩) توفيت في حياته سنة ٤ للهجرة (١٠) ماتت سنة ٥٥ أيام معاوية

إسرائيلَ وهيَ صَفيَّةُ [١] بنتُ حُيَيِّ بنِ أخطَبَ من بَني النَّضير .

وماتَ منهنَّ عِندَهُ (عليهِ السلامُ) اثنتانِ وهما : خديجةُ وزَينبُ أمُّ المساكينِ ، وتُوُفِّيَ (صلى الله عليه وسلم) عن تِسعِ نِسوةٍ .

وأمّا سَرارِيهِ ، فقيلَ إنهنَّ أربعٌ : ماريةُ [٢] القِبطيَّةُ أمُّ ابراهيمَ ابنِ النبيِّ (عليهِ الصلاةُ والسلامُ) ، وهيَ التي أهداها له المُقوقِسُ صاحِبُ الإسكَندريَّةِ ، ورَيحانةُ [٣] القُرَظيَّةُ ، وواحدةٌ وَهبَتها لهُ زينبُ بنتُ جَحشٍ ، والرابعةُ أصابَها في بَعضِ السَّبيِ .

اعمامه ابناء عبد المطلب

وهُم عَشَرةٌ : أبو طالبٍ (واسمُهُ عبدُ منافٍ) والزُّبيرُ ، وحمزةُ [٤] ، والمُقوَّمُ ، وأبو الفَضلِ العبّاسُ [٥] (وهوَ أخوهُ من الرَّضاعِ أيضاً) وضِرارٌ ، والحارثُ ، وقُثَمُ ، وأبو لَهَبٍ (واسمُهُ عبدُ العُزّى) والغَيداقُ . ولم يُسلِمْ منهم إلّا حمزةُ والعبّاسُ .

(١) توفيت سنة ٥٠ في زمن معاوية (٣) ماتت سنة ١٦ أيام عمر
(٢) ماتت في حياته سنة ١٠ للهجرة (٤) قتل يوم احد وله تسع وخمسون سنة
(٥) توفي في خلافة عثمان وله ثمان وثمانون سنة .

عماته بنات عبد المطلب

وهُنَّ سِتٌّ : صَفِيَّةُ [أُمُّ الزُّبَيرِ بنِ العَوَّامِ] وعاتِكةُ والبَيْضَاءُ [وهي أمُّ حكيمٍ] وبَرَّةُ ، وأُمَيْمَةُ [وهيَ تَوْأمةُ والدِ الرَّسول ، أي كانتْ معَهُ في بطنٍ واحدٍ] وأَرْوَى . وأسلمَ منهنَّ صفيَّةُ. واختُلِفَ في إسْلامِ عاتِكةَ وأَرْوَى .

امه من الرضاع وحاضنته

أُمُّهُ منَ الرَّضاعِ حَليمةُ بنتُ أبي ذُؤَيبٍ السَّعْدِيَّةُ ، وهي الّتي أرضعتهُ حتَّى أكملَتْ رَضاعَهُ . وزَوْجُها أبو كَبْشةَ .

وأرْضَعَتْهُ أيضاً ثُوَيْبةُ جاريةُ أبي لَهبٍ [وهيَ الّتي أعتقَها أبو لَهبٍ عندَما بَشَّرَتْهُ بمِيلادِ الرسولِ [صلى الله عليه وسلم] .وقد اُختَلَفَ العُلَماءُ في إسلامِها وإسلامِ حَليمةَ وزَوْجِها .

وكانتْ حاضِنَتَهُ أمَّ أيمنَ بَرَكةَ بِنْتَ ثَعلَبةَ ، أمَّ أسامةَ ابنِ زَيدِ بنِ حارثة .

افراسه وغير ذلك

اشهرُ أفراسِهِ اللِّزازُ ، والمُرتَجِزُ ، والظَّرِبُ ، واليَعسُوبُ ، اليَعبُوبُ . وبَغلَتُهُ دُلدُلُ ، وكانت شَهباءَ . وله غيرُها . وحِمارُهُ يعفورٌ . وناقتُهُ القَصواءُ ، وهيَ التي هاجرَ عليها . وكان له (عليهِ السَّلامُ) خمسٌ وأربعون لَقحةً [1] ، أرسلَها إليهِ سعدُ بنُ عُبادةَ ، وكان له مِئةُ شاةٍ وسبعةُ أعنُزٍ .

وخاتَمُهُ من فِضَّةٍ [وقيلَ من حديدٍ] اتخذَهُ يومَ راسلَ الملوكَ يدعوهم إلى الإسلام ، بعدَ أن رجعَ من خيبرَ ، ونقشُهُ « محمدٌ رسولُ اللهِ » في ثلاثةِ أسطرٍ .

وأشهرُ دروعِهِ ذاتُ الفضولِ . وأشهرُ سيوفِهِ ذو الفِقارِ . وأشهرُ خدَمتِهِ أنسُ بنُ مالكٍ .

هيئته وبعض احواله

كانَ عليهِ الصلاةُ والسَّلامُ تامَّ الخَلقِ ، حسَنَ المنظرِ ، تلوحُ عليهِ سيما الوَقارِ والهيبةِ . وكانَ أحسنَ النَّاسِ خَلقاً ، أبيضَ الوجهِ ، أزهرَ [2] اللَّونِ ، حسَنَ الفمِ . وكانَ عظيمَ الهامَةِ [3] ،

---

(١) اللقحة : الناقة ذات اللبن القريبة العهد بالولادة (٢) أي أبيض مشرق الوجه (٣) الهامة الرأس

صَلْتَ[1] الجَبِينِ ، أَزَجَّ[2] الحَاجِبَيْنِ ، عظيمَ الجبهَةِ ، أَهْدَبَ[3] الأَشْفارِ ، أَدْعَجَ[4] العَيْنينِ ، أَنجَلَهمَا[5] ، أَقْنَى الأَنفِ[6] ، أَسِيلَ[7] الخَدَّيْنِ ، كَثَّ[8] اللِّحْيَةِ ، وكانَ شَثْنَ[9] الكَفَّيْنِ والقَدَمَينِ ، عَبْلَ[10] الذِّراعينِ ، رَحبَ الكَتِفينِ ، واسِعَ الصَّدْرِ . وكانَ لَيسَ بالطَّويلِ ولا القَصيرِ ، وهوَ إِلى الطُّولِ أَقرَبُ . وكان شعرُهُ رَجِلًا[11] : لاَ سبطاً[12] ولاَ جعْداً قَطَطا[13] ؛ وكانَ بينَ أُذنَيْهِ وعاتِقهِ ، وفي رِوايةٍ إِلى أَنصافِ أُذُنَيْهِ ؛ وكانَ يُرَجِّلُهُ[14] ؛ وكانَ يُفرِّقُهُ تارةً ويُسرِّحُهُ أُخرَى ، ثمَّ رَجعَ إِلى الفَرْقِ ؛ ولمْ يُرْوَ أَنهُ حلَقَ رأْسَهُ الشَّريفَ في غيرِ نُسُكِ حجٍّ أَوْ عُمرةٍ . وكانَ في رأْسِهِ ولحيَتِهِ نحْوُ عشرينَ شَعْرَةً بَيْضاءَ .

وكانَ حسَنَ الصَّوتِ يَبلُغُ صوتُهُ حيثُ لاَ يبلغُهُ صوتُ غيرِهِ وكانَ ضَحِكُهُ لاَ يتجاوزُ ظُهورَ نواجِذِهِ ؛ وكان أَكثرُ ضَحِكِهِ التَّبسُّمَ .

---

(١) الجبين الصلت هو الاملس البراق (٢) أي دقيق الحاجبين من غير قرن ، هذا هو المشهور ويروى انه كان مقرون الحاجبين وبه وصفه علي رضي الله عنه
(٣) الاهدب : تام الهدب والهدب : ماينبت من الشعر على أشفار العين والاشفار : جمع شفر بضم الشين وهي حروف الاجفان التي ينبت عليها الشعر (٤) أي شديد سوادها مع سعتها (٥) الانجل واسع العينين (٦) أي محدودبه (٧) الخد الاسيل هو اللين المستطيل بلا ارتفاع الوجنة (٨) كثيفها (٩) أي غليظ أصابعهما
(١٠) أي ضخمها . (١١) اي بين السبوطة والجعودة (١٢) السبط المسترسل
(١٣) القطط هو الجعد القصير (١٤) يمشطه

وكان مِشيتُه تَكفُّؤاً [١] ، كأنما ينحطُّ من صَبَب [٢] . وكانَ إذا وَطِيَ بقدمِهِ وطِيَ بها كلِّها .

وكانَ إذا ألتفتَ يلتفتُ بجميع بدنِهِ لا بوجهِهِ وحدَهُ .

وكانتِ الرائحةُ الطيبةُ صِفتَهُ وإنْ لمْ يمسَّ طيباً .

ولمْ يتثاءبْ . ولمْ يتجشَّ قطُّ .

شمائله وأخلاقه عليه السلام

كما كانَ (صلى اللهُ عليه وسلم) أكملَ النَّاسِ خَلقاً كانَ أكملَهُمْ خُلقاً ، وأعلاهمْ مزيّةً ، وأسماهُمْ عقلاً ، مُحِبًّا للفقراء ، رؤوفاً بالنَّاسِ ، رحيماً بهم ؛ لا ينفرُ منهُ جليسُهُ .

وكانَ إذا حضرَ يجلسُ حيثُ ينتهي بهِ المجلسُ .

وكانَ أصحابُهُ لا يقفونَ له عِندَ حضورِهِ ، لأنَّهمْ يعلمونَ منهُ كراهتَهُ لذلك .

وكان يغضبُ إذا انتُهِكتْ حُرماتُ اللهِ ، ولا يغضبُ لنفسِهِ ، ولا ينتقمُ ممَّنْ آذاهُ ، بلْ يعفو عنهُ ويصفحُ ؛ قالت عائشةُ : « ما رأيتُ رسولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) منتصِراً منْ مَظلِمَةٍ ظُلِمَها قطُّ ، ما لمْ تكنْ حُرمة من محارِمِ اللهِ تعالى .

---

(١) التكفؤ : الميل الى سنن المشي ، وهو ان يمشي هوناً كما تتمايل النخلة

(٢) الصبب : المكان المنحدر

وماَ ضَرَبَ بِيدِهِ شيئاً قطُّ إلاَّ أَنْ يُجاهِدَ في سَبِيلِ اللهِ . وماَ ضَرَبَ خادِماً ولا اْمرأةً » .

ورَوَى البُخاريُّ عنْ أَنسِ بْنِ مالِكٍ رضيَ الله عنه قال : « لمْ يَكُن النبيُّ (صلى اللهُ عليه وسلمَ) سَبَّاباً ولاَ فحَّاشاً ولا لعَّاناً ؛ كان يقولُ لأحدنا عِنْدَ المَعْتَبةِ [1] : ما لَهُ تَرِبَ جَبِينُهُ [2] »

وكانَ شديدَ الخوفِ منَ اللهِ ، كثيرَ الخَشْيةِ على عُلوِّ مَنْصِبهِ ورَفيعِ رُتْبتهِ ؛ وقدْ غفَرَ اللهُ له ما تقدَّمَ منْ ذَنْبهِ وماَ تأخَّرَ [3] .

وكانَ شُجاعاً قَوِيًّا جَواداً كريماً ؛ إلى غيرِ ذلكَ منَ الأخلاقِ العاليةِ والأوصافِ الكريمةِ ، التي كانتْ صِفةً غريزيَّةً فيهِ (صلى اللهُ عليه وسلمَ) .

---

(١) المعتبة : العتاب وهي بفتح التاء وكسرها (٢) ترب جبينه : هي كلمة جرت على لسان العرب لايريدون حقيقتها وهو التصاقها بالتراب . والمراد بها في كلام الرسول دعاء لمن يعاتبه بالطاعة أي يصلي فيترب جبينه أي يلصق بالتراب

(٣) « مبحث عصمة الانبياء عن الذنوب »

اعلم انه مايجب اعتقاده أن الانبياء عليهم السلام معصومون عن الصغائر والكبائر . لكن قد ورد في القرآن الكريم نسبة بعض الذنوب لبعض الانبياء . فظن من لارواية له ولا دراية انها معاص حقيقية وذنوب وقعت منهم البتة . ومن اوتي الانصاف والفهم يعلم أن ما نسب اليهم من المعاصي صادر اما عن نسيان ، واما عن اجتهاد ، واما انه ليس من الذنوب قطعاً ، وانما هو من باب الامر الصغير يستكبر من العظيم . فكانوا عليهم السلام كثيرا ما ينسبون الذنب لانفسهم ، وهو لم يخرج في الحقيقة عن باب المباحات أو المكروهات ، وانما عدها الله عليهم ذنوباً نظراً لشرف رتبتهم وعلو مناصبهم . وفي الحقيقة ان ذنوب الانبياء كحسنات الصالحين من سائر الناس .

وكان خُلقهُ القرآنَ ، فكما أنَّ معانيَ القرآنِ يكلُّ الوصفُ عنها ، فكذلكَ أوصافُهُ الكريمةُ يَعجزُ القلمُ واللِّسانُ عن نعتِها . وَمنْ أَحبَّ التوسُّعَ في ذلكَ فعليه بالكتبِ المؤلَّفةِ في هذا الموضوعِ ، فإنَّ فيها العجبَ العُجابَ .

« فائدة » حُسنُ الخلقِ هوَ ملَكةٌ نفسانيَّةٌ يَسهلُ على المُتصِفِ بها أنْ يأتيَ بالأفعالِ الجميلةِ بلا تكلُّفٍ .

معيشته صلى الله عليه وسلم

كانَ الرَّسولُ لَمْ يَشبَعْ من طَعامٍ قطُّ ، وكانَ يَنهَى عن الشِّبَعِ لِما فيهِ من إذهابِ الفِطنةِ وجَلبِ الأمراضِ وتَثقيلِ المِعدةِ ، فإنَّ المِعدَةَ بيتُ الدَّاءِ ، وأكثرُ الأمراضِ ناشئٌ من امتلاءِ البطونِ بالمآكلِ ، كما قال الشاعر :

فإنَّ الدَّاءَ أكثرَ ما تراهُ ... يكونُ منَ الطَّعامِ أو الشَّرابِ

وقد قال (صلى الله عليه وسلم) : ما مَلأَ آدميٌّ وِعاءً شرًّا من بَطنٍ . بحَسبِ ابنَ آدمَ لُقيماتٌ يُقِمْنَ صُلبَهُ . فان كان لا بُدَّ فاعلًا فثلثٌ لطعامِهِ ، وثُلثٌ لِشرابِهِ ، وثُلثٌ لِنفَسِهِ »[1] .

(١) قال ابن القيم : اخبر النبي (صلى الله عله وسلم) انه يكفيه لقيمات (اي لقم قليلة) يقمن صلبه ، فلا تسقط قوته ولا تضعف معها . فان تجاوزها فليأكل في ثلث بطنه ، ويدع الثلث الآخر للماء والثالث للنفس . وهذا من انفع ما يكون للبدن والقلب . وانما يقوى البدن بحسب مايقبل من الغذاء لا بحسب كثرته .

وكان لا يَرُدُّ موجوداً ، ولاَ يَتَكَلَّفُ مفقوداً . فما قُرِّبَ اليه شيءٌ من الطَّيِّبات الا أكله ، الاَّ أَنْ تعافَهُ نفسُهُ فيتركَهُ من غير تحريم .

وما عاب طعاماً قطُّ ؛ إنِ اشتهاهُ أكَلَهُ ، والاَّ تركَهُ .

وكان يأكل ماتيَسَّرَ ؛ فان لم يَجِدْ صبر . وكانَ يُسَمِّي الله على اول شرابه وطعامه ، ويحمده بعد الكفاية منهما .

وكان اذا شَرِبَ ناولَ مَنْ على يَمِينه ، وان كان على يَساره مَنْ هو اكبرُ منه .

نموذج من معجزاته

الْمُعجزةُ أمرٌ خارِقٌ لِلعادَةِ يُظهِرُهُ الله على يَدِ مُدَّعِي النُّبوَّةِ تأييداً لدَعْوَاهُ .

والْمُعجِزةُ قِسمانِ : مَعْنَوِيَّةٌ وَحِسِّيَّةٌ .

فالأُولَى يَعْرِفُها ويُصَدِّقُ بها ذَوُو الْبصائِرِ النَّيِّرَةِ والْعُقولِ السَّليمَةِ ؛ وهيَ عِبارَةٌ عمَّا انطَوَى عليْهِ ذلِكَ النَّبيّ من الأَخلاقِ الفَاضِلةِ والمزايا السامية ، وما عُرِفَ بهِ منَ الْعَملِ بِمُقْتضَى الْحَقِّ ، والسيرِ في جادَّةِ الصدقِ ، وما يَلوحُ عَلَيْه منَ الإماراتِ

الدَّالَّةِ على صِدْقِ مُدَّعاهُ .

وَالثَّانيةُ يَطلُبها مَنْ لم تَصِلْ رُتْبَتُه إلى إدراكِ صِدْقِ الرسولِ بِمُجَرَّدِ الإِطِّلاعِ على أَحوالِهِ وأَخلاقِهِ ، ولم تَرْتَفِعْ بَصيرَتُهُ وَعَقْلُه إلى مَقامِ تِلكَ المَعْرِفَةِ .

وَقد كانَ لرسولِنا (صلى الله عليه وسلم) الحظُّ الأَوْفَرُ مِنْ كِلتَا المُعجِزَتَيْنِ : المَعْنَوِيَّةِ والحِسِّيَّةِ . أَمَّا الأُولى فقد عَرَفْتَ جُزْءاً يَسيراً جِدًّا منها في النُّبْذَةِ السَّابقة . ونُورِدُ عليك الآنَ بَعْضاً يَسيراً أيضاً مِنْ مُعجِزاتِهِ الحِسِّيَّةِ .

فمنها انْشِقاقُ القَمرِ له نِصْفَيْنِ ، وَقَدْ طَلَبَتْ منهُ العَربُ ذلكَ . فأشارَ عليهِ السلامُ بإِصْبَعِهِ الى القَمرِ فَشَقَّ فِلْقَتَيْنِ[1] .

---

(١) وقد ذكرت بعض الجرائد الاجنبية مقالة عربتها جريدة اللسان العربية التي كانت تطبع في قسطنطينية حاصلها : انه عثر في ممالك الصين على بناء قديم مكتوب عليه أنه بني عام كذا الذى وقع فيه حادث سماوي عظيم وهو انشقاق القمر نصفين . فحرر الحساب فوافق سنة انشقاقه لسيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم . اه من هامش « باكورة الكلام على حقوق المرأة في الاسلام »

أقول قد علمت ان هذه المعجزة ذكرت في القرآن . والقرآن ، كما لا يخفى على ذي بصيرة ، منقول الينا نقلا متواتراً لا يتطرق اليه الشك والريب . فهي بلا شك كانت تتلى على رؤوس الناس من مؤمن وكافر . فلو لم يكن الانشقاق صحيحاً بل كان مجرد كذب لنقل الينا ولو عن المخالفين لنا . ولو لم ينقل أحد المعارضة في ذلك فهي مسألة حقيقية لامرية فيها ، لان أعداء الدين في ذلك الوقت كانوا له بالمرصاد يتطلعون اليه ليروا له هفوة او غلطة ليأخذوا بها عليه . وكيف يمكن ذلك والقرآن كلام الله .

ولما طبعت الطبعة الاولى من كتابنا هذا ورد الينا كتاب من احد اعلام العلم—

وقد رآهُ القاصي والدّاني. وقد ذُكِرَتْ هذهِ المُعجِزَةُ العظيمةُ في القرآنِ الكريمِ في قولهِ تعالى: «اِقتَرَبَتِ الساعةُ وانشَقَّ القَمر. وَإن يَرَوا آيةً يُعرِضُوا ويَقُولُوا سِحرٌ مُستَمِرٌّ»

ومنها نَبعُ الماء من بَينِ أصابعهِ عِندَ ما وَضعَ يَدَهُ الشريفة في إناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ حينَ اشتدَّ العطَشُ بالصَّحابةِ الكرامِ، وقد كانوا في السَّفرِ.

—يأخذ فيه علينا اعتمادنا لمعجزة انشقاق القمر لانها تخالف قواعد علم الفلك. فأجبناه على ذلك بما يأتي:

معجزة انشقاق القمر لم يدعني الى الجزم بها الا سياق الآيات وما الصحيح الذي افهمه منها. ولم اقلد بذلك رأياً ولا ما ورد فيها من الاخبار، وان جزمت طائفة من العلماء بتواتره. ثم زادني يقيناً ان قرأت عنها ما قرأت من الاثر التاريخي الصيني، وقد نقلته في السيرة، وقوله تعالى: «وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» بعد ذكر الانشقاق يؤيد ذلك وانه حصل. ويبعد حمله على الاستقبال كما قالت طائفة من المفسرين كالزمخشري والبيضاوي والآلوسي وغيرهم. واما ان الحكم بذلك يرد عليه كثير من قواعد العلم الفلكي الجديد فلا يخفى على الاخ الفاضل انها من قسم الخوارق التي يستدعي الدين الاعتقاد بها اجمالا، فالاعتقاد بها والاعتقاد بالاسراء واحياء الموتى وانفلاق البحر سواء، فما يرد عليها من قواعد الفلك يرد عليها من قواعد الطبيعة. والمخلص من ذلك كله ان للطبيعة خوارق، والطبيعيون انفسهم لا يستطيعون انكارها بل يثبتونها ويقرون بجهل سرها ويسمونها فلتات الطبيعة. وان لهم من تلك الخوارق أكثر مما للمليين، غير انهم يرون القذى في اعين غيرهم واعينهم ملأى بالحجارة، بل أشهر علمائهم يقر بأنهم الى الآن لم يكتشفوا كثيرا من اسرار الطبيعة وان هناك أشياء وراء الطبيعة لا يستطاع حلها.

أقول لم يدعني الى الاعتقاد بها تقليد أو آحاد الاحاديث، وانما سياق الآيات يثبتها، وما صح من الروايات يعضدها، فلذا جزمت بها. وان رأيتم رأياً في الموضوع فابعثوا به الي، لاني وايم الله احب الانتقاد، لان فيه من الفوائد ما لا يكاد يحصى.

ومنها تكثيرُ الطَّعامِ القليلِ وكانوا مُسافرين أيضاً .

وقد بَصَقَ يومَ خيبَرَ في عَيْنَي عليِّ بْنِ أبي طالبٍ (رضيَ اللهُ عنهُ) ، وكان بهما وَجعٌ ، وَدَعا لهُ فَبَرِيَ ، حتّى كأنْ لم يكنْ بهما وَجعٌ ؛ كما في الصَّحيحَيْنِ .

وأعظمُ مُعجزاتهِ وأَوْلاها بالدَّلالَةِ على صِدْقِهِ هوَ «القرآن»[1] كِتابُ اللهِ الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بَيْنِ يَدَيْهِ ولا من خَلفِهِ ؛ ذلكَ الكِتابُ الّذي أخرَسَ الفُصحاءَ ، وأسكَتَ البُلغاءَ وَحيَّرَ الفلاسِفةَ ، وأدهشَ السّاسَةَ ، وخَلَبَ عُقُولَ العلماءِ ؛ ذلكَ هُوَ القُرآنُ الذي سَجدَتْ له العَرَبُ ، وعَجَزَتْ عن مُعارَضَتِهِ ، بل عنِ الإتيانِ بأقصرِ سُورةٍ مِنْ مِثلِهِ . فلمّا عَلِمُوا أنْ لا طاقةَ لهم بذلك عَمَدُوا الى السَّيفِ والسِّنان ، وتركوا المُعارَضَةَ باللسان ...

ففيهِ منَ العلمِ الباهرِ ، والفَلسفَةِ المُدهشةِ ، والارْشادِ الصَّحيح ما يَقِفُ عِندَه كلُّ إنسانٍ حائراً . وفي الجُملةِ فَقدْ حَوى ما فيهِ الهِدايةُ لِسعادةِ الدّارَيْنِ وهَناءةِ الحياتَيْنِ .

---

(١) راجع مقدمة ديوان شعرنا المسمى (ديوان الغلاييني) فان فيه شيئاً عن القرآن الكريم تصبو اليه نفس الاديب . ونوصي القاريء الكريم بمطالعة كتاب (اعجاز القرآن) للاستاذ النابغة (مصطفى صادق الرافعي) وهو كتاب ممتع يجدر بكل اديب الاطلاع عليه ومطالعته والاحتفاظ به .

فصاحته عليه السلام

كانَ الرسولُ أفصَحَ النَّاسِ، وأحلاهُمْ مَنطِقاً، وأعذَبهمْ كلاماً، وأحسَنَهُمْ بَياناً. وكان يَتَكَلَّمُ بجَوامعِ الكَلِمِ. وكان يتكلم بالكلام الفَصْل يُبَيِّنُهُ، فيَحْفَظُهُ مَنْ كان جالساً اليه.

وكان لا يَسْرُدُ الكلامَ سَرْداً بلْ كان يَتأَنَّى فيهِ بحَيْثُ لَوْ عَدَّهُ عادٌّ لأَحصاهُ. وقَدْ ورَدَ أنَّهُ كانَ يُعِيدُ الكلِمَةَ ثلاثاً لِتُفْهَمَ عنه. وكانَ يُكَلِّمُ العَرَبَ كُلَّها على اختِلافِ لُغاتِها؛ حتَّى قالَ له اميرُ المؤمنين عليُّ بْنُ أبي طالِبٍ (عليه السلام): «إنَّكَ تُكلِّمُ العَرَبَ بلِسانٍ ما نَفْهَمُ أكثَرَه [1]».

(١) من شاء فليرجع الى كتب الحديث ير من ذلك العجب العجاب. ونوصي الطلاب ان يقرءوا قسم البلاغة النبوية من كتاب «اعجاز القرآن والبلاغة النبوية» للاستاذ الرافعي المتقدم ذكره، يجدوا ما تنشرح له صدورهم.

شيءٌ من جوامعِ كَلِمِهِ وحِكَمِهِ

تكلَّمَ رسول الله (صلواتُ الله عليه) بكلامٍ كثيرٍ مُتنوِّعِ المضامين . وقد دوَّنَ الرُّواةُ من ذلك شيئاً كثيراً كانَ السَّبَبَ في حِفظِ مَسائِلِ الدِّينِ . ومن كلامِهِ ماهو مُوجَزُ اللَّفظِ كثيرُ المعاني . وإنّا ذاكرونَ لكَ شيئاً من جوامِعِ كَلِمِهِ ، ونُتفاً من حِكَمِهِ . وقد رتّبْنا ذلكَ على حروف الهجاء [1] .

الهمزة

أَسلِمْ تَسلَمْ * إنَّما الأعمالُ بالنيّاتِ * إيّاكُمْ وَخَضراءَ الدِّمَنِ : المرأةَ الحَسناءَ في مَنبِتِ السُّوءِ [2] * أَيُّ داءٍ أَدْوَى مِنَ البُخلِ [3] * إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحراً ، وَإنَّ مِنَ العلمِ لَجهلاً ، وَإنَّ مِنَ الشِّعرِ لَحُكْماً [4] * إستَعينُوا على الحاجاتِ

---

(١) « تنبيه » ينبغي للاستاذ ان يرغب التلاميذ في حفظ هذه الاحاديث عن ظهر قلب ، مع تفهيمهم اياها بقدر الامكان ، حتى تنغرس فيهم الفضيلة فتثمر العمل الصالح

(٢) الدمن جمع دمنة ، وهي الآثار التي يتركها القوم بعد الرحيل من بعر واوساخ وغيرها ، يخرج من النبات الاخضر الذي يروق الناظر ، لكنه نابت بين الدمن وهي الاقذار والاوساخ ، أي لا تغتروا بمنظره الحسن قبل البحث عن منبته . ثم بين ان المراد بخضراء الدمن هي المرأة الحسناء في منبت السوء ، اي لا ينبغي الاغترار بالمرأة الحسناء وجمالها الظاهري قبل البحث عن جمالها الباطني الحقيقي وفي أي منشأ نشأت واي خلق تعودت (٣) أي اشد داء (٤) الحكم بضم الحاء : الحكمة من العلم .

بالكِتمانِ ، فإنَّ كلَّ ذي نِعمةٍ محسودٌ * إتَّقِ دَعوةَ المظلومِ ، فإنها ليسَ بينَها وبينَ اللهِ حجابٌ * إنَّ مِمَّا يُنْبِتُ الرَّبيعُ ما يَقْتُلُ حَبَطاً أو يُلِمُّ[1] * إنَّكم لَنْ تَسَعُوا الناسَ بِأَموالِكُمْ فَسَعُوهمْ بِأَخلاقِكُمْ * إنَّ هذا الدِّينَ مَتينٌ ، فأَوْغِلْ فيهِ بِرِفقٍ ، وَلاَ تُبَغِّضْ لِنَفْسِكَ عِبادَةَ اللهِ ، فإنَّ المُنْبَتَّ لا أَرْضاً قَطَعَ ، ولاَ ظَهْراً أبقى[2] * إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ ولَنْ يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وقارِبُوا[3] * إيَّاكُمْ والغُلُوَّ في الدِّينِ *

الإقْتِصادُ في النَّفَقةِ نِصفُ المَعيشَةِ . والتَّوَدُّدُ الى الناسِ نِصفُ العَقْلِ . وحسْنُ السُّؤالِ نِصفُ العلمِ * أَدِّ الأَمانةَ إلى مَنِ ائْتَمنكَ ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خانَكَ * إلْتَمِسُوا الرِّزْقَ في خَبايا الأَرْضِ[4] * أخسَرُ الناسِ صَفْقَةً مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ

---

(١) الحبط : انتفاخ البطن من كثرة الاكل حتى ينتفخ فيموت . و«يلم» يقرب أي يقرب من القتل والهلاك . وذلك ان الربيع ينبت احرار العشب فتستكثر منه المواشي فتنتفخ بطونها . وهذا مثل لمن انهمك في جمع المال من حله وغير حله ، ومنع ما وجب عليه اخراجه منه ، وترك ما فرضه الله عليه فيه (٢) الايغال : السير الشديد . يقال اوغل في الارض وتوغل اي : سار فيها وابعد . والمعنى : سر في الدين برفق ، وابلغ الغاية القصوى منه بالتؤدة والتأني لا بالخرق والتهافت ، ولا تجر على نفسك ولا تحملها ما لا تطيق فتعجز وتترك الدين والعمل و « المنبت » هو المنقطع ، والمراد به المنقطع عن رفاقه في السفر ، الذي يحمل دابته على ما لا تطيقه من السير رغبة في الاسراع ليصل الى غايته ، فينقطع ظهرها تعباً ، فلا تقدر على السير ، فينقطع هو في الطريق فيكون حينئذ ما قطع الارض التي ارادها ، ولا ابقى ظهر دابته سالماً . فكذلك من يجهد نفسه في العبادة ويتطع فيها فلا يلبث ان يملها ويبغضها ، فلا هو بلغ المقصود من ارضاء الله ولا ابقى نفسه في الراحة (٣) سددوا : توسطوا ، لان التوسط في الامور هو السداد والصواب (٤) المراد التمسوه بالحرث والزرع .

بدُنْيَا غَيْرِهِ * إنَّ من كُنُوزِ البِرِّ كِتْمانَ المَصَائِبِ * إنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ من كلامِ النُّبُوَّةِ الأُولى : إذا لَمْ تَسْتَحِ فاصْنَعْ ما شِئْتَ * إيَّاكَ وما يُعْتَذَرُ مِنْهُ * إيَّاكَ وقَرِينَ السُّوءِ، فإنَّكَ بهِ تُعْرَفُ * أَخسَرُ النَّاسِ صَفقَةً مَنْ أَخلَقَ يَدَيْهِ[1] في آمالِهِ، ولَمْ تُساعِدْهُ الأيَّامُ عَلى أُمْنِيَّتِه، فَخَرَجَ من الدُّنْيا بغَيْرِ زادٍ، وقَدِمَ عَلى اللهِ بغَيْرِ حُجَّةٍ * أَحسِنْ الى مَنْ أساءَ اليكَ * اذا غَضِبَ أحدُكم فَلْيَسْكُتْ * إيَّاكَ والطَّمَعَ فإنَّهُ الفَقْرُ الحاضِرُ .

الباء

البَلاءُ مُوَكَّلٌ بالمَنطِقِ[2] * البَيِّنَةُ على المُدَّعي واليَمِينُ عَلى المُدَّعى عَلَيهِ[3] * بُعِثْتُ رَحمَةً ولم أُبعَثْ لعَّاناً * البِرُّ ما سَكَنَتْ إلَيْهِ النُّفُوسُ * بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأَخلاقِ * بَرِيءٌ مِنَ الشُّحِ مَنْ أَدَّى الزَّكاةَ، وقَرَى الضَّيْفَ، وأَعطى في النَّائِبَةِ[4] * البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، والإثْمُ ما حاكَ في صَدْرِكَ

---

(١) أخلق : أبلى (٢) ذكر الميداني في الامثال انه من كلام ابي بكر الصديق رضي الله عنه . وذكر الصغاني انه من الموضوعات، والصحيح انه من كلام الرسول . وقد رواه الضبي بهذا اللفظ . ورواه ابو داود الطيالسي بلفظ : البلاء موكل بالقول

(٣) جاء في شرح ديوان أبي العلاء سقط الزند ان أول من نطق بذلك قس بن ساعدة، غير انه قال : واليمين على من انكر، والحديث رواه الترمذي (٤) الشح : البخل : و « قرى الضيف » أضافه

وَكَرِهْتَ أنْ يَطَّلِعَ علَيْهِ النَّاسُ[1] * بِرُّوا آباءكم تَبَرَّكم أَبناؤُكم[2] * بَشِّرُوا ولا تُنَفِّروا .

التاء

تُنكَحُ المَرْأةُ لِجَمالها ومالِها ودِينِها وَحَسَبِها ، فَعلَيْكَ بِذاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَداكَ[3] * تَرْكُ الشَّرِّ صَدَقَةٌ * تَوَاضَعُوا حَتَّى لاَيَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ * تَنَقَّهُ وتَوَقَّهُ (يَعني تَنَقَّ الصَّدِيقَ وأحْذَرْهُ[4]) * تَهادَوْا تَحَابُّوا * التَّوْبَةُ تَهدِمُ الحَوْبَةَ[5] * التَّدبيرُ نِصفُ العَيْش .

(١) حاك : حال واضطرب . والمعنى ان الاثم هو ما لم تطمئن اليه نفسك

(٢) بروا آباءكم : احسنوا اليهم . والبر بكسر الباء : الاحسان ، وضد العقوق . وبر والده يبره ، من بابي علم وضرب : احسن اليه ولم يعقه

(٣) الحسب : الشرف بالآباء وما يعده الانسان من مفاخرهم . وقوله عليه السلام : «تربت يداك» : هو من الكلمات الجارية على السنة العرب ظاهرها الدعاء على الانسان ، وانما يريدون بها المدح والدعاء له . ولا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع المكروه به وذلك كما يقولون : لا اب له ولا ام له وقاتله الله . يريدون الدعاء له لا عليه . والمراد بها في الحديث الدعاء له وحثه على ايثار ذات الدين ، وتحريضه على ذلك . واصل معنى تربت يده : لصقت بالتراب والمعنى افتقر . يقال : ترب الرجل ، اذا افتقر واترب ، اذا استغنى — واعلم ان من يرغب في الزواج بامرأة فانما يرغب فيه لامور : اما لمالها أو حسبها أو جمالها أو دينها ، فالرسول يحذر ان يتزوج الانسان بغير صاحبة الدين والاخلاق الشريفة . فان اجتمع مع ذلك الحسب والجمال والمال فتلك نعمة فاضلة ، أما ايثار الجميلة أو صاحبة المال أو الحسب على صاحبة الدين فذلك خطأ كبير كما يفعله اكثر الناس اليوم (٤) اى اذا اردت ان تتخذ صديقاً فتخبره ولا تتسرع في صداقته ، ومع ذلك فتيقظ منه واحذره ولا تبح له بجميع اسرارك فربما صار عدوا لك يوماً ما (٥) الحوبة : الذنب . والتوبة التي تهدم الذنوب وتكفرها هي التوبة النصوح ، وهي الندم على الذنب حين

الثاء

ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ فهوَ مُنافِقٌ ، وإنْ صامَ وَصلَّى وَحجَّ واْعتمرَ وقالَ إنِّي مُسْلِمٌ : إذا حَدَّثَ كَذَبَ ، وإذا وَعدَ أَخْلَفَ ، وإذاَ اْئتُمِنَ خانَ * ثلاثٌ مَنْ جَمَعهُنَّ فقَدْ جمَعَ الإيمَانَ : الإنْصَافُ مِنْ نَفْسِكَ ، وبَذْلُ السَّلامِ لِلعَالَمِ ، والإنْفاقُ في الإقْتارِ[1] .

الجيم

جَدَعَ الحَلاَلُ أَنفَ الغَيْرَةِ[2] * الجارَ قبلَ الدَّارِ * جَمالُ الرَّجُلِ فَصاحَةُ لِسَانِهِ * الجَنَّةُ تحتَ أَقْدامِ الأُمَّهاتِ * جُبِلَتِ القُلوبُ على حُبِّ مَنْ أَحسَنَ إليها ، وبُغْضِ مَنْ أساءَ اليها .

الحاء

حُجِبَتِ النَّارُ بالشَّهَواتِ ، وحُجِبَ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ * الحَرْبُ

—يفرط من الانسان فيستغفر الله ثم لا يعود اليه ابداً . اما من يتوب على نية الرجوع أو يتوب من الذنب ثم يرجع اليه ثم يتوب ثم يرجع ، وهلم جرا فهو ممن لا تقبل لهم توبة . واعلم ان الذنوب التي يكفرها الله بالتوبة انما هي الحقوق الآلهية ، اما حقوق المخلوقين فلا تغفر الا اذا تجاوز عنها صاحبها (١) أي في حالة الفقر ، وهذا غاية الكرم . وقد ورد : « أفضل الصدقة جهد المقل » (٢) جدع : قطع . قال ذلك الرسول ليلة زفت ابنته فاطمة على علي بن ابي طالب (عليهما السلام) ذكر ذلك الميداني في امثاله .

خَدْعَةٌ * حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي ويُصِمُّ * حُسْنُ الْعَهْدِ من الإيمَانِ * الحِكْمَةُ ضَالَّةُ المُؤْمِنِ، يلتقطها حَيْثُ وجدَها[1] * الحَياءُ منَ الإيمان * الحَياءُ هُوَ الدِّينُ كُلُّهُ * الحَلفُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ[2] * الحَزْمُ أَنْ تُشاوِرَ ذَا رَأْيٍ ثُمَّ تُطِيعَهُ.

الخاء

خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ[3] * الْخُلُقُ السَّيِّءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كما يُفْسِدُ الخَلُّ الْعَسَلَ * الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللهِ وأَحَبُّهم إليهِ أَنْفَعُهُمْ لِعيالِهِ * خيرُ بيتٍ في المُسلمينَ بَيْتٌ فيهِ يَتيمٌ يُحْسَنُ إليهِ * خالِقِ النَّاسِ بِخُلُقٍ حَسَنٍ * خُذُوا على أَيْدِي سُفَهائِكُمْ قَبْلَ أَنْ يَهْلِكُوا أَوْ يُهْلِكُوا * خَيْرُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً * خُذِ الحِكْمَةَ، ولا يَضُرُّكَ من أيِّ وِعاءٍ خَرَجَتْ.

الدال

الدُّنْيا عَرَضٌ حاضِرٌ، يأكُلُ مِنْها البَرُّ والْفَاجِرُ. والآخِرَةُ

---

(١) الحكمة : العلم . و « ضل الشيء فهو ضال » بمعنى ضاع ' اي ان العلم بمنزلة ضائع للانسان' فيأخذه ممن وجده معه ايا كان . ورد « خذ الحكمة ولا يضرك من اي وعاء خرجت» (٢) الحنث : الخلف في اليمين . اي ان الحالف اما ان يفعل ماحلف ان لا يفعله' فيخلف في يمينه ويحنث . واما ان يضطر للفعل فلا يفعل' فيندم على حلفه . يحث الرسول على ترك الحلف . وقد قال تعالى : (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) (٣) اي لزوجته ' او لاهل بيته . وتمام الحديث « وانا خيركم لاهلي » وقد ورد انه (عليه السلام) لم يضرب زوجة ولا شتمها ولا اساء اليها .

وَعدٌ صادِق ، يَحكُمُ فيها مَلِكٌ عادِلٌ ، يُحِقُّ الحَقَّ ويُبطِلُ الباطِلَ ، فكونوا أبناءَ الآخِرةِ ولا تكونُوا أبناءَ الدُّنيا ؛ فإنَّ كُلَّ أمٍّ يَتْبَعُها وَلَدُها[١] * الدَّالُّ على الخَيرِ كفاعِلِه ، والدَّالُّ على الشَّرِّ كفَاعلِه * الدَّينُ مَقضِيٌّ ، والزَّعيمُ غارِمٌ[٢] * الدِّينُ النَّصيحَةُ * دَعْ ما يَرِيبُكَ إلى مالا يَرِيبُكَ[٣] * دَعْ قِيلَ وقالَ وكَثْرَةَ السُّؤالِ وإضاعَةَ المالِ * دَعْوَةُ المَظْلومِ لاتُحجَبُ * دَعُوهُ فإنَّ لِصاحِبِ الحَقِّ مَقالاً[٤] .

---

(١) ليس المراد انه ينهاهم عن الدنيا البتة وان يتركوها قطعاً . وانما نهاهم ان يجعلوها مقصودة بالذات ، وارشدهم ان يتخذوها وسيلة للآخرة وقنطرة يجوزونها اليها . والقرآن والاحاديث طافحان بما يحث الانسان على الكسب والعمل ، قال تعالى : « ربنا آتنا في الدنيا حسنة ، وفي الآخرة حسنة » وقال صلى الله عليه وسلم : « اعمل لدنياك كانك تعيش أبدا واعمل لآخرتك كانك تموت غدا » والزهد في الدنيا المطلوب شرعاً هو ان لا يغتر الانسان بزخارفها ولا يميل الى ملذاتها ولا يصبو الى مشتهياتها ، ان كان شيء من ذلك يضر بامر الدين ، وان يكون ما عنده من الاموال في يده لا في قلبه ، بحيث يصرفه في وجوهه المشروعة متى دعي الى ذلك ، لا أن يهمل الاشغال والاعمال ويكون كلا على العباد . وقد ورد في الحديث « ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه حتى يصيب منهما جميعاً فان الدنيا بلاغ الآخرة ، ولا تكونوا كلا على الناس » على ان من راجع تاريخ الصحابة يعلم ان منهم من كان عنده كثير من الذهب والفضة والانعام والخيول الخ لكنهم متى وجدوا حاجة الى انفاق شيء منه وجدت احدهم اسرع الى ذلك من السهم الى هدفه . (٢) الزعيم : الكفيل ، و(غارم) أي ملزم بدفع الدين عمن كفله (٣) أي اترك ما تشك فيه وتشتبه وافعل ما لا ريبة فيه ولا شك (٤) عن عائشة رضي الله عنهـا قالت : « كان النبي (عليه الصلاة والسلام) مديونا لرجل يهودي ، فتقاضاه في طلب دينه فأغلظ عليه ، فقصد اصحابه الى زجره فقال عليه الصلاة والسلام : « دعوه فان لصاحب الحق مقـالا » والمراد بالحق هنا الدين . والحديث في عمومه يشمل كل حق وكل ذي حق

الذال

الذَّنبُ لاَ يُنْسَى ، وَالبِرُّ لاَ يَبْلَى. والدَّيَّانُ لاَ يموتُ . فَكُنْ كما شئْتَ * ذَرُوا الْمرَائيَ لِقلَّةِ خَيْرِهِ * ذاقَ طَعْمَ الايمانِ مَن رَضِيَ باللهِ رَبّاً ، وبالاسلامِ دِيناً ، وبمُحَمَّدٍ رسولاً .

الراء

الرَّفيقَ قَبْلَ الطريقِ * الرَّضاعُ يُغَيِّرُ الطِّباعَ * رأْسُ الحِكْمَةِ مَخَافَةُ اللهِ تعالى * الرِّفقُ يُمْنٌ وَالخُرْقُ شُؤْمٌ [1] * رَحِمَ اللهُ امْرأً أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ * الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُم الرَّحمنُ * الرِّفقُ في المَعيشَةِ خَيرٌ مِنْ بَعْضِ التِّجارَةِ [2] .

الزاي

زُرْ غِبّاً تَزْدَدْ حُبّاً [3] * زِنْ وَأَرْجِحْ [4] * الزَّكاةُ قَنطَرَةُ الإسلام .

---

(١) الخرق بضم الخاء : الحمق والجهل ، وهو ضد الرفق (٢) اذا كان مورد الانسان من الرزق قليلا فاستعمل الحكمة في النفقة فذلك خير له من بعض التجارة ، وذلك فيما لو اكتسب المال من غير وجوهه المشروعة لسد ما يتقاضاه من التوسعة في المعيشة .

(٣) الغب في الاصل : ان ترد الابل الماء يوماً وتدعه يوماً . والغب في الزيارة : ان تزور يوماً ثم تعود اليها بعد ايام . وقال الحسن : هو ان تزور مرة في كل اسبوع

(٤) زن : امر من الوزن ، اي اذا وزنت فأرجح الوزن كيلا تقع في انقاصه .

السين

السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ * سُوءُ الْخُلُقِ شُؤْمٌ، وشِرارُكُمْ أَسوأُكُمْ أَخلَاقاً * سَدِّدْ وَقَارِبْ تَنْجُ * سَيِّدُ القَوْمِ خادِمُهم * سَيِّدُ الْعَمَلِ الورَعُ (١) * السكينَةُ مَغْنَمٌ وَتَرْكُها مَغْرَمٌ (٢).

الشين

شِرارُ النَّاس الذِينَ يُكْرَمُونَ اتِّقاءَ شَرِّهِم * شِرَاكٌ من نارٍ «قالَهُ للغالِّ (٣)» * شَرُّ النَّاسِ مَنِ اتُّقِيَ مَجْلِسهُ لِفُحْشِهِ * شِفاءُ الْعِيِّ السُّؤالُ (٤) * شَرُّ الرِّعاءِ الحُطَمَةُ (٥) * شَرُّ بَيْتٍ فِي المسلمينَ بَيْتٌ فيهِ يَتيمٌ يُسَاءُ إليه * الشِّعْرُ كَلامٌ، فَحسَنُهُ حَسَنٌ، وَقَبِيحُهُ قَبِيحٌ * شِرارُ أُمَّتي الوَحْدانِيُّ (٦)، المُعْجَبُ بِدِينِهِ، المُرائي بِعَمَلِهِ.

---

(١) الورع : التقوى والتحفظ من الشبهات خوف الوقوع في المحرمات

(٢) المغرم : في الاصل الغرامة وهو ما يلزم اداؤه . والمراد بالمغرم هنا الخسارة

(٣) الغال الخائن (٤) العي : الجهل وعدم الاهتداء لوجه المراد (٥) الرعاء : جمع راع وهو من تولى أمر البهائم من رعي وغيره . والحطمة : الراعي الظلوم . والحطمة في القرآن : الشديدة من النيران، او اسم لجهنم . والكلام مثل لمن يتولى امراً فيقوم فيه بالشدة والعنف والظلم (٦) الوحداني : المفرد، يريد به المفارق للجماعة المنفرد بنفسه . وهو منسوب الى الوحدة بمعنى الانفراد بزيادة الالف والنون للمبالغة .

الصاد

صَنائعُ المَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ (١) * صَدَقَةُ البِرِّ تُطفِيءُ غَضَبَ الرَّبِّ * صِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ في العُمْرِ * الصَّمْتُ حُكْمٌ وقَلِيلٌ فَاعِلُهُ (٢) * صِلْ مَنْ قَطَعَكَ ، وأَحسِنْ إلى مَنْ أَساءَ إلَيْكَ ، وَقُلِ الحَقَّ ولَوْ على نَفْسِكَ * الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى * الصَّبْرُ مِفْتاحُ الفَرَجِ .

الضاد

الضِّيَافَةُ ثَلاثَةُ أَيَّامٍ ، فَمَا زادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ (٣) * ضَعِي في يَدِ المِسْكِينِ ولو ظِلْفاً مُحْرَقاً (٤) * ضَالَّةُ المُؤْمِنِ حَرَقُ النَّارِ (٥)

---

(١) مصارع : جمع مصرع وهو اسم مكان من الصرع ، وهو الطرح . اي صنائع المعروف تحفظ الانسان من مواقع الشر (٢) الحكم : أصل معناه المنع ، ومثله الحكمة. جعل النبي الصمت حكماً لانه يمنع صاحبه من الوقوع في الاثم والشدة ، فان سلامة الانسان في حفظ اللسان (٣) هذه رواية احمد وغيره . وفي رواية البخاري : « فما كان وراء ذلك فهو صدقة » وفي رواية ابن ابي الدنيا زيادة عليهم وهي : وعلى الضيف ان يتحول بعد ثلاثة ايام . (٤) الظلف للبقر والغنم كالحافر للفرس والبغل والخف للبعير والقدم للانسان . والمعنى : ضعي في يده شيئاً ولو شيئاً لايعبأ به ولا ترديه خائباً . قال المناوي في شرحه الكبير للجامع الصغير : « قال القاضي : هذا وما اشبهه انما يقصد به المبالغة في رد السائل بأدنى ماتيسر ، ولم يقصد به صدور هذا الفعل من المسئول ، فان الظلف المحرق غير منتفع به » اه

(٥) الضالة : الضائعة ، وهي مايضيع للانسان من شيء . يقال : ضل الشيء اذا ضاع ، وضل عن الطريق اذا حار . وهي تقع على الذكر والانثى والاثنين والجمع . وأحرق النار) لهبها . والمعنى ان الانسان اذ اخذ الضائعة ليتملكها اداه ذلك الى النار .

الطاء

الطَّمَعُ يُذْهِبُ الحِكْمةَ من قلوبِ العُلَماءِ * الطُّهُورُ شَطرُ الايمَانِ(١) * طَلَبُ العِلمِ فَريضةٌ على كلِّ مُسْلمٍ ومُسْلِمَةٍ.

الظاء

الظُّلمُ ظُلُماتٌ يَوْمَ القِيامةِ * الظَّنُّ أكْذَبُ الحديثِ * ظُلمُ الغَنيِّ المَطْلُ * ظُلمُ الأجيرِ أجرَهُ منَ الكَبائِرِ.

العين

العَفوُ لا يَزِيدُ العَبدَ إلاّ عِزًّا، والتَّواضُعُ لا يَزيدُهُ إلاّ رِفعَةً، وما نَقَصَ مالٌ من صدَقةٍ * العِدَةُ عَطِيَّةٌ(٢) * العِدَةُ دَيْنٌ(٣) * العالِمُ والمتَعلِّمُ شريكانِ في الأجرِ * عَلِّموا، ويَسِّروا

(١) ليس المراد بالطهور الذي هو شطر الايمان طهاره الظاهر بافاضة الماء عليه وتنظيفه والباطن مشحون بالاحباث . بل المراد به ما يشمل طهاره الظاهر، وطهارة الجوارح عن اكتساب الآثام والجرائم، وطهارة القلب عن الاخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة، وطهارة السر عما سوى الله، وهي طهارة الانبياء صلوات الله عليهم . هذا تلخيص كلام الامام الغزالى في شرح هذا الحديث . وهو كلام نفيس جداً . راجع تتمة البحث في الاحياء في (كتاب أسرار الطهارة) (٢) أي هي بمنزلة العطية، فلا ينبغى ان يخلف بها كما لا ينبغي أن يرجع الانسان في عطيته (٣) أى كالدين فى تأكد الوفاء بها . فاذا أحسنت القول فاحسن الفعل ليجتمع لك مزية اللسان، وثمرة الاحسان

ولا تُعَسِّروا . وَبَشِّرُوا ولا تُنَفِّرُوا . وإذَا غَضِبَ أَحَدُكُم فَلْيَسْكُتْ * عَلَيْكَ بالإياسِ مِمَّا في أَيْدِي النَّاسِ . وَإِيَّاكَ والطَّمَعَ فَإِنَّهُ الفَقْرُ الحاضر * عَزَّ مَنْ قَنِعَ . وذَلَّ مَنْ طَمِعَ .[1]

الغين

غُضَّ بَصَرَكَ[2] * الغادِرُ يُنْصَبُ له لِواءٌ يومَ القِيَامَةِ * الغِيبَةُ ذِكْرُكَ أخاكَ بما يَكْرَهُ * الغَيْرَةُ مِنَ الإيمانِ[3] * الغِلُّ[4] والحَسَدُ يأكلانِ الحَسَناتِ كما تأكلُ النَّارُ الحَطَبَ .

الفاء

في كلِّ ذاتِ كَبِدٍ حرَّى أجرٌ[5] * فيكَ خَصْلَتَان يُحِبُّهما الله : الحِلْمُ والأَناة[6] * فُكُّوا العَانيَ . وأَجِيبُوا

(١) لان القانع لايذله الطلب فلا يزال عزيزا (٢) أي غضه عما لايحل لك النظر اليه (٣) هذا اذا كانت غيرة الرجل على أهله عند الريبة والشك . والا فهى مذمومة (٤) الغل بكسر العين هو الحقد وقد يفسر بالغش (٥) ذات بمعنى صاحبة . و(الحرى) العطشى ، مؤنث الحران بمعنى العطشان . والمعنى ان الانسان يؤجر على كل عمل خير يعمله ولو بسقي الماء للمحتاج من بني آدم اوغيرهم من الحيوانات والبهائم . وقد ورد في الحديث : « غفر لامرأة مومسة مرت بكلب على رأس ركي يلهث كاد يقتله العطش ، فنزعت خفها فأوثقته بخمارها ، فنزعت له من الماء ، فغفر لها بذلك » و(الركي) : جمع ركية وهي البئر . و(يلهث) معناه يخرج لسانه من العطش ، ولا يخفى ما في قول الرسول هذا من الحث على الرفق بالحيوان والشفقة عليه . وقد ورد كثير من الاحاديث الدالة على تأكد ذلك والحاثة عليه . فليستفد منها ما شاء كل من يسعى بانشاء الجمعيات للرفق بالحيوانات من أهل أوربة وغيرهم

(٦) الحلم : العقل و(الاناة) : الرفق وعدم التسرع

الدَّاعيَ . وأَطعِمُوا الجائعَ وعُودُوا المَريضَ [١] * في المُنافقِ ثلاثُ خِصالٍ : إذاَ حدَّثَ كذَبَ ، وإذاَ وَعدَ أَخلَفَ ، وإذاَ اؤْتُمِنَ خانَ * الفَضلُ في أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وتُعطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ .

القاف

القَنَاعةُ مالٌ لاَ يَنفَدُ ، وكَنزٌ لاَ يفنَى * قال عِيسَى : لِدُوا لِلمَوْتِ وابْنُوا لِلخَراب [٢] * قال داوُدُ : يازارِعَ السَّيئاتِ ، تَحصُدُ شَوكَهَا وحَسَكَهَا [٣] * قُلِ الحقَّ وإنْ كانَ مُرًّا * قُلِ الحقَّ وَلوْ على نَفسِكَ * قُلْ آمَنتُ باللهِ ثمَّ استقِمْ * القَناعَةُ كَنزٌ لاَ يَفنَى * قُولوا خيراً تَغنَمُوا واسكُتوا عَنْ شَرٍّ تَسلمُوا * قِوامُ المرءِ عَقلُهُ ولا دِينَ لمنْ لاَعَقلَ لهُ *

القُضاةُ [٤] ثلاثةٌ : اثْنانِ في النَّارِ وَواحدٌ في الجنَّة : رَجُلٌ عَلِمَ الحقَّ فقَضَى بهِ فَهُوَ في الجنَّة ، ورَجُلٌ قَضَى للنَّاسِ على جَهْلٍ فهوَ في النَّارِ ، ورَجُلٌ عرَفَ الحقَّ فجارَ في الحُكمِ فَهوَ في النَّارِ .

---

(١) العاني الاسير . و(عودوا) زوروا (٢) المراد به عيسى بن مريم صلوات الله عليه . و (لدوا) فعل امر من الولادة (٣) هو داود النبي عليه السلام و(الحسك) نبات له شوك (٤) القضاه جمع قاض وهو الحاكم . والمراد به الحاكم بأمر من الامور بين الناس

الكاف

الْكَيِّسُ مَنْ دانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعدَ الموت [١] . والْعَاجِزُ مَنْ أَتبعَ نَفْسَهُ هَوَاهاَ وَتَمَنَّى على اللهِ الأَمانِيَّ * كادَ الْفقرُ أنْ يكُونَ كُفْراً * كَبُرَتْ خِيانَةً أنْ تُحَدِّثَ أَخاكَ حديثاً هو لكَ بهِ مُصَدِّقٌ ، وأَنتَ لهُ بهِ مُكَذِّبٌ * كِتابُ اللهِ الْقِصاص * كَرَمُ المرْءِ دِينُهُ . ومُرُوءَتُهُ عقلُهُ . وَحَسَبُهُ خُلُقُهُ * كَفَى بالمرْءِ إثماً أنْ يُحَدِّثَ بكلِّ ماسَمِعَ * كُلُّ مُسْكِرٍ خمرٌ . وكلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ * كُلُّكُمْ راعٍ و كُلُّكُم مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ * كما تَدِينُ تُدانُ [٢] * كلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ * كلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَةِ ، حتَّى يُعْرِبَ عنهُ لِسانُهُ * كلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له * الكلمةُ الحكيمةُ ضالَّةُ كُلِّ حَكيم [٣] .

اللام

ليسَ للعامِلِ منْ عَمَلِهِ إلاّ ما نواهُ * لايَجْني جانٍ إلاّ على

---

(١) الكيس العاقل و (دان نفسه) اخضعها وقهرها ، وحاسبها على ما فرط منها ، واذلها في طلب الحق (٢) أي كما تفعل تجازى بفعلك وبحسب ما عملت

(٣) الكلمة الحكيمة : ذات الحكمة اي العلم . و (الحكيم) . العالم العاقل الذي يوافق علمه عمله . ويروى : « الكلمة الحكيمة ضالة المؤمن » وفي رواية : « الحكمة ضالة المؤمن » والمعنى انه لايزال يتطلبها كما يتطلب ضالته اي ضائعته

نفسِهِ [١] * ليسَ الشَّديدُ بالصُّرَعةِ [٢] ، إنَّما الشَّديدُ مَنْ يَمْلِكُ نفسَهُ عِندَ الغَضَبِ * ليسَ الخَبَرُ كالمعاينَةِ * لا يَنْتَطِحُ فيها عَنْزانِ [٣] * لَأَنْ يُؤَدِّبَ الرجلُ ولدَهُ خيرٌ له من أَنْ يَتَصدَّقَ بصاعٍ [٤] * لَسْتُ مِنْ دَدٍ ولا الدَّدُ مِنِّي [٥] * لقدْ أَوْصاني جِبْريلُ بالجارِ حتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ * لقدْ شَقِيتُ إنْ لم أَعْـدِلْ * لعنَ اللهُ مَنْ مَثَّلَ بالحيوانِ [٦] * لَعَنَ اللهُ الْمُخَنَّثَ [٧] * لم يَكْذِبْ مَنْ نَمَى بين اثْنَيْنِ لِيُصلِحَ [٨] * لوْ بَغَى جَبَلٌ على جَبَلٍ لَدُكَّ الباغي منهما * لنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ * لنْ يَهْلِكَ امْرُؤٌ بعدَ مَشُورَةٍ * ليسَ بِمُؤْمِنٍ مَنْ لم يَأْمَنْ جارُهُ غَوائِلَهُ [٩] * ليسَ لِأَحدٍ فَضْلٌ على أَحدٍ إلاَّ بِدِينٍ أوْ عَمَلٍ صالحٍ * ليس مِنِّي إلاَّ عالمٌ أوْ مُتَعَلِّمٌ * لا عقلَ

(١) يخزي : يذنب ويجرم (٢) الصرعة : الذي يصرع الناس ويغلبهم . اي ليس الشديد من يغلب الناس ، انما الشديد من يغلب نفسه ويملكها عند الغضب
(٣) اي لايجري فيها خلاف ولا نزاع . وهو مثل يضرب لما لا ينبغي الكلام فيه لانه معروف (٤) يؤدب : يعلم ويهذب و (الصاع) : الذي يكال به وهو اربعة امداد والمد يبلغ « ١٢٨ » ثمانية وثلاثين درهما ومئة درهم من دراهم اليوم
(٥) الدد : اللهو واللعب (٦) مثل بالحيوان : نكل به . والتنكيل به ان يقطع نحو اذنه ويده وانفه (٧) المخنث الذي يتشبه بالنساء باللين والتكسر ورخامة الصوت واللباس (٨) نمى : قال في مجـاز الاساس : نميت الحديث الى فلان رفعته واسندته . ويقال نميت الحديث « بتخفيف الميم » : بلغته على جهة الاصلاح ، ونميته « بتشديد الميم » بلغته على جهة الافساد اه ومعنى الحديث ان من يسند كلاماً الى آخر لم يقله ، للاصلاح بين الناس فليس بكاذب (٩) غوائله : اي اضراره ومساويه . والغوائل في الاصل : المهلكات

كالتَّدبيرِ . ولا ورعَ كالكَفِّ . ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخُلُق [١] * لا إيمانَ لمنْ لا أمانةَ لهُ . ولا دِينَ لِمنْ لا عهْدَ له * لا فقرَ أشدُّ من الجهلِ . ولا مالَ أعزُّ منَ العقلِ . ولا وحشةَ أشدُّ منَ العُجْبِ [٢] * لا تُظهرِ الشَّماتةَ بأخيكَ ، يُعافيهِ اللهُ ويَبتَليكَ [٣] * لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قتَّاتٌ [٤] * لا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بينَ اثْنَيْنِ وَهوَ غَضْبانُ * لا يُؤمِنُ أحدُكم حتَّى يُحِبَّ لأخيهِ ما يُحِبُّ لِنفسِهِ * لا يُلْدَغُ المؤمِنُ من جُحْرٍ مَرَّتينِ [٥] * لا تُوكِي فيُوكَى عليكِ ، إرْضَخِي بما أسْتَطعْتِ [٦] * لا ضَرَرَ ولاَ ضِرَارَ [٧] * لا تُحْصِي فيُحْصَى عَلَيْكِ [٨] * لا دِينَ لِمَنْ لا عَقْلَ له * لا يَرْحَمُ اللهُ مَنْ لا يَرْحَمُ النّاسَ .

---

(١) اي كالامتناع عن المعاصي و(الحسب) مايعده الانسان من المفاخر (٢) لان المعجب بنفسه المتكبر على غيره تنفر منه الناس فيعيش منفرداً لذلك (٣) الشماتة بفتح الشين : فرح العدو ببلية تنزل بمن يعاديه (٤) القتات : النام ، وهو من ينقل احاديث الناس الى غيرهم (٥) لايلدغ : رواه الميداني في الامثال بلفظ لا يلسع ومعناهما واحد ، والجحر لنحو الحية : مكان مبيتها . اي اذا لسع الانسان من جحر حية فلا يتعرض له مرة اخرى . وهو مثل يضرب لمن نكب او اصيب مرة بعد اخرى . والجحر : كل مكان تحتفره الهوام والسباع لانفسها ، وجمعه جحرة واجحار (٦) لاتوكي أي لا تبخلي بما عندك وتمنعيه . يقال : اوكى على ما في سقائه اذا شده بالوكاء ، وهو الخيط الذي يشد به رأس القربة . اي لاتربطي على ما عندك من الرزق بمعنى لا تمتنعي عن التصدق به خوفاً من نفاده ، فيوكى عليك اي فتنقطع عنك مادة الرزق ، و(ارضخي) معناه اعطي . يقال : رضخ له : اي اعطاه عطاء قليلا . والرضخ العطاء اليسير ، أي اعطي وانفقي مـا استطعت من غير تبذير ولا تقتير

(٧) المعنى لاضرر للنفس ولا اضرار بالغير . اي لا تفعل ما يضر بك ولا بغيرك

(٨) لعل المعنى : لا تحصي على الناس زلاتهم . اي لا تؤاخذيهم بما يفرط منهم من الهفوات ، بل عامليهم بالاغضاء عن زلاتهم والسماح عن هفواتهم ، ولا تعدي عليهم ذلك فيحصي الله عليك ذنوبك ويعاملك بمثل ما تعاملين به عباده . أو أن المعنى :—

الميم

المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحبَّ * المجالِسُ بالأَمانةِ [1] * المُسْتَشارُ مُؤْتَمَنٌ [2] * مَنْ أَبطأَ به عَمَلُهُ لم يُسْرِعْ به نَسَبُه [3] * ما حَاكَ في صَدْرِكَ فَدَعْهُ [4] * ما خَابَ مَنِ اسْتَخارَ، ولا نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، ولا عالَ مَنِ اقْتَصَدَ [5] * مَنْ يَضْمَنْ لي ما بينَ لَحْيَيْهِ وما بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لهُ الجَنَّةَ [6] * مَنْهُومَانِ لا يَشْبَعانِ: طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا [7] * مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ ما لا يَعْنِيهِ [8] * ما آمَنَ بالقُرْآنِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحارِمَهُ [9] *

— لا تحصي ما تجودين به من الاحسان الى الناس فيحصي الله عليك .

(١) اي فلا يجوز افشاء ما يدور فيها من الكلام واذاعته بين الناس

(٢) المستشار : من يستشيره الناس . اي يجب ان تكون صفته الامانة فلا يجوز ان يشير على من استشاره بغير ما فيه المصلحة والخير ولو كان المستشير عدوا له لدودا (٣) ابطأ : تأخر . وابطأ به اخره . والمعنى ان الانسان ابن عمله لا ابن نسبه ، فمن لم ترفعه اعماله لم يرتفع بأنسابه (٤) أي ما يعتريك فيه شبهة فاتركه

(٥) استخار طلب الخير . و« عال» : افتقر و «اقتصد» : لم يسرف ولم يقتر بل التزم الحد الاوسط في المعيشة (٦) اللحيان : مثنى لحي وهو منبت شعر اللحية . والمراد بما بين اللحيين اللسان او الفم بما فيه بحيث لا يطعم حراماً ولا ينطق الا بما يوافق الشرع ، فلا يغتاب ولا يكذب ولا ينقل احاديث الناس ولا يسب ولا يلعن الى غير ذلك من الآفات اللسانية . والمراد بما بين الرجلين الذكر بحيث لا يكشفه على محرم (٧) النهم : بفتحتين افراط الشهوة في الطعام (٨) اى ما لا يهمه وليس له فيه حاجة (٩) لان العمل الصالح اثر الايمان الصحيح . فمن آمن حق الايمان ، انزجر بزواجر القرآن . وقد ورد : « الايمان عريان » اى جائع يطلب العمل كما يطلب الجائع الطعام .

مُدارَاةُ النَّاسِ صدَقَةٌ (١) * مَكارِمُ الأَخلاقِ أعمالُ أهلِ الجَنَّةِ * مِنَ البِرِّ أَنْ تَصِلَ صديقَ أبيك (٢) * مِنْ فِقهِ الرَّجلِ رِفقُهُ في مَعيشَتِهِ (٣) * مَنْ أَحبَّ اللهَ استَحيا * مَنْ أَخـذَ أموالَ النَّاسِ يُريدُ أداءَها أدَّى اللهُ عنه * مَنْ أَمرَ بمَعْرُوفٍ فَلْيَكُنْ أمرُهُ بِمَعْرُوفٍ (٤) * مَنْ بَدا جَفا (٥) * مَنْ تواضعَ للهِ رَفَعَهُ * مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ مِنَ الخُيَلاءِ (٦) لم يَنظُرِ اللهُ اليه * مَنْ حامَ حَولَ الحِمى يُوشِكُ أنْ يُواقِعَهُ (٧) * مَنْ رَحِمَ ولَوْ ذَبيحةَ عُصفورٍ رَحِمَهُ اللهُ * مَنْ دَلَّ على خيرٍ فَلَهُ مِثلُ أجرِ فاعِلِهِ * مَنْ ذَكرَ رَجُلاً بما فيهِ فَقَدِ اغْتابَهُ (٨) * مَنْ رَدَّ عَنْ عِرضِ أخيهِ رَدَّ اللهُ عن وَجهِهِ * مَنْ جَلَبَ (٩) على

---

(١) الا اذا اتت المداراة بضرر في دين او دنيا . (٢) اي ان من البر الى الوالدين الاحسان الى اصدقائهما (٣) الفقه : العلم . أي ان من جملة علم الانسان ان يعلم كيفية الاقتصاد ليرفق في معيشته فيحيا هنيئاً . (٤) اي من نصب نفسه لوعظ الناس وارشادهم وانتقاد عاداتهم فليستعمل التودّدة والتأني والرفق والمعروف من القول . فلا يتهور بلسانه أو قلمه ، بل يجعل الحكمة في النصيحه نصب عينيه . فان فعل غير ذلك فقد أضاع المقصود وحرم النتيجة . وقد كنا كتبنا في هذا الموضوع موضوع الانتقاد والامر بالمعروف رسالة وافية نشرناها في المجلد الاول من مجلتنا النبراس وفي كتابنا اريج الزهر . فليرجع اليها من شاء (٥) بدا : سكن البادية (٦) الخيلاء : الكبر (٧) الحمى : المراد بههنا المحظورات الشرعية على سبيل المجاز (٨) ان ذكره بما فيه فعليه اثم الغيبة . وان ذكره بما ليس فيه فعليه اثم الغيبة والكذب . (٩) جلب على الخيل : صاح بها او وكزها لتعدو وتجري . والمعنى أن من يجهد فرسه ويضربها أو يصيح بها لتجري سريعاً يوم السباق فليس منا ، لان هذا مناف لشروط الرهان ، ولانه ليس من باب الشفقة والمرحمة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه بعث رحمة للعالمين عاقلهم وغير عاقلهم .

خَيلِ الرِّهانِ فَلَيسَ مِنَّا * مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَسْلَمَ فَلْيَلْزَمِ الصَّمْتَ [١] * مَنْ صَمَتَ نَجا * مَنْ غَشَّ فَلَيسَ مِنَّا [٢] * الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المسلمونَ منْ لِسانِهِ ويَدِهِ [٣] . والمُهاجِرُ مَن هَجَرَ مانَهى اللهُ عنهُ [٤] * مَنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جارَهُ . ومنْ كانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ . ومن كانَ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيراً أَوْ لِيَصْمُتْ * الْمُؤْمِنُونَ عِنْدَ شرُوطِهِمْ فيما أُحِلَّ * مَنْ أَتاهُ أَخوهُ مُتَنصِّلاً [٥] فَلْيَقْبَلْ ذلكَ مِنه، مُحِقًّا كانَ أَوْ مُبْطِلاً . فإنْ لمْ يَفعلْ لم يَرِدْ عليَّ الْحَوْضَ * ما نَقَصَ مالٌ مِنْ صَدَقَةٍ .

النون

ناموا فإذا انْتَبَهْتُمْ فأَحسِنوا [٦] * نِعْمتَانِ مَغْبونٌ فيهما كَثيرٌ منَ النَّاسِ : الصِّحَّةُ والفَراغُ [٧] * نِعْمَتِ الدارُ الدُّنيا

---

(١) الصمت : السكوت (٢) هذه روايه الترمذي . ورواه أحمد وأبو داود وابن ماجه والحاكم بلفظ : ليس منا من غش . أي ليس منا من غش أحدا من الخلق لان الغش حرام لكل عباد الله (٣) فان آذاهم بكلامه او بيده فليس بمسلم على الحقيقة . وكذا من آذى الذميين والمعاهدين ومن هم في امان المسلمين . فايذاء المسلم وايذاؤهم سواء ، لان لهم مالنا وعليهم ماعلينا . وقد قال الرسول : من آذى ذمياً فانا خصمه ، ومن كنت خصمه خصمته يوم القيامه (٤) المهاجر : المراد به من هاجر مع النبي الى المدينه ، وفضله معلوم مشهور . والمعنى : ليس المهاجر من هاجر معي، بل من ترك ما نهى الله عنه (٥) متنصلا : متبرئاً من ذنبه (٦) أي احسنوا اقوالكم وافعالكم (٧) مغبون : مخدوع . والمعنى ان الصحة والفراغ خدعهما كثير من الناس

لِمَنْ تَزَوَّدَ منها لآخرتهِ * نَفَقَةُ الرَّجُلِ على أهلِهِ صَدَقَةٌ (١) * النَّدَمُ تَوْبَةٌ * النَّاسُ رَجُلانِ : عالمٌ ومُتَعلِّمٌ ، ولاَ خَيْرَ فيما سِواهما * النَّاسُ كَإِبِلٍ مِئَةٍ (٢) ، لاَتَجِدُ فيها راحِلةً * النِّساءُ شَقائِقُ الرجالِ (٣) * النَّاسُ مَعادِنُ (٤) .

الهاء

الهَمُّ نِصْفُ الهَرَمِ * هَلْ يَكُبُّ النَّاسَ على وُجوهِهِمْ إلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ (٥) * هَلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلاَّ بِضُعَفائِكُمْ (٦) * هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ (٧) * هَلَكَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ بالغُلُوِّ في الدِّينِ .

الواو

الوَحْدَةُ خَيْرٌ مِنْ جَلِيسِ السُّوءِ . والجَليسُ الصَّالِحُ خَيْرٌ مِنَ

---

(١) أي يؤجر عليها كما يؤجر على الصدقة (٢) الابل : الجمال . و«الراحلة» : مايصلح للركوب ووضع الرحل عليه من الجمال . والمعنى ان الناس كثير والنافع منهم قليل (٣) اي هن نظائرهم وامثالهم ، فلا فضل لاحد على احد الا بالعمل الصالح . والشقيقة في الاصل : الاخت لام واب . والجمع شقائق . والاخ شقيق والجمع أشقاء (٤) أي منهم الغث والسمين والنافع والضار (٥) كبه على وجهه فاكب : صرعه والقاه . و«حصائد السنتهم» : هي ما تحصده السنتهم من الشرور وما تلفظه من البذاء والفحش (٦) فيه من الحث على القيام بشأن الضعفاء ما لا يخفى . والمراد بالضعفاء : من ليس لهم قوة على مباشرة الاعمال لكبر او عاهة او مرض (٧) اي الذين يتنطعون في العبادة ويتعمقون فيها ويكلفون انفسهم ما لا تطيق . وقد ورد في الحديث : « اياكم والغلو في الدين » راجع الكلام على شرح حديث « ان هذا الدين متين » في باب الهمزة

الوَحدَة * وَيلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكذِبُ لِيُضحِكَ بِهِ القَومَ * وَيلٌ لِأُمَّتِي من عُلَماءِ السُّوءِ .

الياء

يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا * اليَمِينُ حِنثٌ أَو نَدَمٌ [1] * اليَومَ الرِّهَانُ [2] ، وغَداً السِّباقُ ، والغايةُ الجَنَّةُ ، والهالِكُ مَن دَخَلَ النَّارَ * اليدُ العُليا خَيرٌ منَ اليَدِ السُّفلَى [3] * اليمينُ الفاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيارَ بَلاقِعَ [4] * يابَنِي سَلَمَةَ دِيارُكُم تُكتَبُ آثارُكُم [5] * يُنصَبُ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعرَفُ بِهِ [6] * يُحشَرُ الجَبَّارُونَ والمُتَكَبِّرُونَ يومَ القِيامةِ أَمثالَ الذَّرِّ [7] ، يَطَؤُهُمُ النَّاس * يُحِبُّ اللهُ منَ العامِلِ إذا عَمِلَ أَن يُحسِنَ [8] .

تم الكتاب

وكان الفراغ من تأليفه في شهور سنة ثلاث وعشرين وثلاثمئة وألف (١٣٢٣) للهجرة ، في بيروت . وكان الفراغ من هذه الطبعة الرابعة اوائل شهر محرم سنة ١٣٤٨ للهجرة النبوية ، على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

(١) الحنث : الحلف في اليمين (٢) الرهان : اخراج كل من المتراهنين رهناً ليفوز السابق بالجميع (٣) ينبه على ترك السؤال والحث على العمل (٤) الفاجرة الكاذبة و«بلاقع» : جمع بلقع وهي الارض التي لاشيء فيها (٥) أي ما تتركونه فيها من خير أو شر (٦) أي يوم القيامة (٧) الذر : جمع ذرة وهي أصغر النمل (٨) سواء أكان العمل له ام لغيره . بل إن كان لغيره فينبغي ان يكون الاحسان فيه اشد . فان اهمل فهو غاش خائن . وان اتقن فهو ممدوح في الدنيا والآخرة .

مضامين الكتاب

بيان الخطأ والصواب

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
ومَناصريهم	ومُناصريهم	٩	١٥
ثم ابنه المطلب	ثم اخاه المطلب	١٢	١٣
ثم اخاه عبد المطلب	ثم ابنه عبد المطلب	١٣	١٣

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
يكلمهم	ويكلمهم	١٤	٠٤
ولى	ان	١٤	٠٥
الوُلوع	الوَلوع بفتح (الواو)	١٦	١٦
حس حمال	حسة حمال	٢٤	٠١
الالى	الأولى	٢٤	١٦
ن	ان	٤١	١٦
فيها	ايها	٤٧	٠٥
الزِّواج	الزَّواج (بفتح الزاي) وهو الاسم من التزويج ، كالسلام من التسليم . وقد يكسر الزاي على معنى المفاعلة فيكون كالنكاح لفظا ومعنى . (وقد تكرر ضبط الزواج بالكسر في عدة مواضع ، والافصح فتح "زاي)	٦٧	١٤
وعلَموا	وعَلموا	٧٦	٠١
المَوقس	المُوقس (بضم الميم)	٧٦	١٢
عشرةَ	عشرةُ	٩٢	٠٣
لأ	الأ	٩٩	١٥
السابعةِ	السابعةَ	١٠٩	٠٦
اليعسوب	واليعسوب	١٣١	٠٣
ويمور	يمور	١٣١	٠٤
من صب	في صب	١٣١	٠١
ولم يتجشّ	ولم يتجشّأ	١٢٣	٠٥
الإمارات	الأمارات (بفتح الهمزة)	١٢٦	١٦
مور	الامور	١٣٣	٣ الحاشية
الناس	الناسَ .	١٣٦	٠٩
منها	منها	١٣٧	١٠ الحاشية
احرو	مرق	١٤٠	١٣ الحاشية